

# إبراهيم ونصر الله الأمواج البرية

سردية

Twitter: @brahemGH  
18.11.2013



الأمواج البريّة

الأمواج البرية / سرية  
إبراهيم نصر الله  
الطبعة العربية الخامسة ، ١٩٩٩  
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي :

بيروت ، ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي : موكياني ،

هاتفكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١

التوزيع في الأردن :

دار الفارس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص.ب. : ٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفكس : ٥٦٨٥٥٠١

E - mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف والإشراف الفني :

سميح سبيح

صورة الغلاف :

إبراهيم نصر الله

الصفحة الأولى :

دار الشروق ، عمّان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إبراهيم ونصر الله

الأمواج البرية

سريّة



## سَحَابَةُ الظِّلِّ الْمَجْفَفَةِ

استراحة من الواح الاسيست واعمدة الحديد .. مقاعد خشبية تفضي الى الجمر رغم سحابة الظل المجففة التي تربض فوقها .. حقائب عائدة من غربات كثيرة .. وهجرات ، كل واحدة منها تحمل في طياتها بشراً وحكايات ، علب عصير متناثرة .. ظهيرة مبكرة تتوعد الفجر ، وتوقد بكاء الاطفال ونزق الشيوخ . الوقت رمل ملتهب ملتصق بالاصابع والروح .. والمدى رواسي رمادية عطشى ..

كل تلك الاشياء تتكدس فوق صدور الناس .. عقارب الساعة تتفجر بفعل ذلك الاحساس العميق بالترقب الذي يشرع كل نوافذه عبر جدران لا مريثة .. يصطدم الجميع بها ..

منذ الفجر .. تسرب البشر من شقوق البيوت والصحاري وانحدروا مثل الجداول المتعبة نحو « الجسر » .. وهناك تجمعوا في انتظار من نوع آخر .. يفضي الى حس عميق بالحزن : فجأة تعبر نسمة صدرأ فيصوب جندي بندقيته الآلية أمراً باعادة النسمة الى الافق من جديد .

ها « جسر العودة » وصدى فيروز ، وعشرون عاما .. اربعون .. يتغير

فيها معنى الاغنية في كل لحظة .. وكل يغنيها بطريقته التي يريد .. وتظل  
فيروز اختصار الحلم في اغنية ..

ويظل الناس يد الحلم في كلماتها ..

يتوقف « البحري » الان وسط حشد من كل الاعمار .. وجوه متشابهة  
كأنها قُدت من جذع زيتونة واحدة .. وجوه تشبه مدنا لم يرها .. مدناً لا ينام  
موجها .. ولا تنطفئ زرقه سواحلها .

والبحري قال له ابوه : ادعوك البحري لانك ستصل البحر وتراه  
بعيني .

\*\*\*

يا ابا محمد : قلنا لك .. ليس المهم ان ترى البيت .. المهم كيف تراه .

ابو محمد : حاولت ان اراه كما ينبغي اربعين سنة .. نعم حاولت .. ولم  
استطع .. ولكن « البحري » اكد لي بثقة في ليلة ما ، انه رأى عسقلان  
بعيني .. وبعين بندقيته ايضاً .

- ولكن الا يرضيك ان البحري رأى ما كنت تحلم برؤيته .

ابو محمد : ذلك يريحني .. يريحني فعلاً ولكنني مشتاق الى رؤية  
البحري قرب « الصُّبرات » هناك .. يهيا لي انه يرقد مغطى بدمه منذ ثمانية  
عشر عاماً ، وينتظرنى لكي ارد على جسده عباةتي هذه وقلبي .

\*\*\*

يستدير البحري بحقييته الان .. كأنه خارج من غيبوبة .. حركة عينية  
بدأت تصبح أكثر حزناً ، فالمشهد يعلو المشهد .. ثم يتسرب كل شيء عبر  
الدم .. تتوقف عيناه فجأة ..

امرأة في الستين .. جميلة .. يانعة .. بثوب مطرز مشرع لاستقبال  
وطن كامل .

فتاة بجانبها : جميل ثوبك يا خالتي .. من خاطه لك ؟

المرأة : انا .. وحدي .. منذ .. لست ادري - وانا اخبط اثوابي .. اتذكر كيف غزلت جهاز عرسى في تلك الايام بسهولة .. ولكن هذا الثوب كان يلزمه الكثير من الوقت .. فنظري اصبح ضعيفاً الان .

ثم نظرت الى الصبية بزهو وقالت :

انت لم تري غير الصدر والاكمام ولكن انظري .. وقفت فرحة .. واعطت ظهرها لها .. ودَعَتْهَا بلهفة :

انظري هنا .. كنت اخيطة وأرى ان كل غرزة فيه خطوة سأخطوها على ارض « العباسية » وحياناً كنت اشعر اننى اضع غرزة مقابل كل ذكرى عشتها هناك .

الصبية : منذ سنتين لم اكن ادرك هذا الجمال .. الى ان رأيت الجندي الاسرائيلي يمزق ثوباً كانت امي قد ارسلته لخالتي في عمان .

كان الجندي يمزقه بحجة البحث عن رسائل سرية. لحظتها احسست اننى اشهد مذبة بكاملها .. مذبة .. مذبة .

\*\*\*

اصوات رشاشات .. طائرة تخترق حاجز الصوت .. قذائف متلاحقة .. الارض تدور ، والنباتات تلتصق ببعضها .. تتبعثر .. صرخات .. اصوات جنود يوزعون الشتائم بلكنات .. عبرية وانجليزية والمانية وروسية و .. وتوحدهم لغة القتل .. صوت طائرة مروحية يقترب ، ثم تشق الطائرة صوتها وتحط في غموض اللحظة .. واطلالة الدم من كل مكان ..

الصبية تمسك برأسها .. وكأنه سيقفز ويتلاشى في فضاء الدخان ، مخلفاً كتفين مذبحتين .. واياما تعد الارض بربيع. المرأة: اسم الله عليك يا بنتي .

صوت الطائرة المروحية يشتد ، الفتاة تهتز ، ترى الحرير الاحمر للثوب فوق القماش الاسود الحالك بركة دم .. الثوب يتمزق وعيناها مسمرتان على جثة طفل صغير .. اصوات الجنود تبتعد .. خليط لكنات تبدأ بمخرج

الرصاصه .. وتنتهي في جثة كانت قبل دقائق خارج كل ما يمُتُ للموت  
بصلة .. الاصوات تتلاشى .. وتنقشع سحابة غبار .. الصبية تستعيد  
نفسها .

يا خالتي : الان اصبح عمري سنا وعشرين سنة .. ولكنني لا اعرف  
لماذا يموت بعضنا ، ويظل البعض الآخر على قيد الحزن .

كان يمكن ان اكون اخي الصغير « البحري » لقد اسماه ابي  
البحري .. لانه كان يريد ان يرى بعينه البحر .. هل ادركوا ذلك فقتلوه .

فجأة تتنبه لوجود الرضيع بين يديها ..

المرأة : ابنتك هذا ؟

الصبية : نعم .. واسمه البحري .

## الازهار بعد خمس حروب

صوت من بعيد يجيء .. « البحري » ينتصب على قدميه .. يسير ..  
يكشف انه نسي الحقيبة .. يعود .. تنسل عيناه بهدوء موجة حالمة باتجاه  
الثوب .. تتصفح تفاصيله .. تستقر على حمالة .. لحظات وتتلاشى  
باجنتها وكان عينيه شربتا جناحيها ..

البحري « لنفسه » : لم تزل امي تملك القدرة بعد خمس حروب  
وثلاثين مجزة .. لم تزل تملك القدرة على تطريز الازهار على ثوبها ..  
والحمام . مرة قلت لها : كأن القماش الاسود ارض ، وكأنك تزرعينها  
بالأزرق والاحمر والابيض وكل ألوان الدنيا ، ليتلاشى الاسود وتظل الألوان  
الأخرى .

يستدير حيث يولي وجهه شطر قمم صاعدة ملتهبة .. وقد استقرت  
كجمرة كامنة خلف طبقة رمادية تعريها الريح ..

امه تتحرك الآن في باحة المنزل امامه ، يختفي وجهها خلف غطاء  
رأسها المغسول وهي تثبته على الحبل ليجف ، فيبدو وجهها وكأنه طالع من  
ضباب .. تحرك الريح الغطاء على الحبل يتموج .. ويرى الريح تحمل وجهه

امه للبعيد .. امه شاردة :

- كنت احب ان امضي الى هناك .. واصعد الجبال المحيطة بسهولة  
« اللبْن » .. اصعد حتى امسك بطفولتي المجللة بالزهر والشقاء والشقاوة  
ايضاً ..

امه تركض الان .. سهل « اللبْن » خلفها يتسع كلما بدأت بالصعود  
اكثر .. طفلة صغيرة تتضاحك وتركض امامها .  
- سأمسكك مهما ابتعدت .

الطفلة يزداد ضحكها فرحاً .. تتعثر .. تصرخ فزعة من ان يلقي عليها  
القبض .

المرأة تلهث .. والطفلة تصل قمة الجبل .. تتوقف لحظة .. تبدأ يداها  
تأخذان شكلاً غريباً .. يتضح فجأة انه شكل جناحي زغلول لم يكتسبها  
بالريش بعد .. يبدأ الريش بالنمو .. المرأة تتوقف دهشة ..

الريش يكسو جسد الفتاة .. يتطاير فستانها في الهواء .. وجهها يأخذ  
شكل رأس طائر حسون .. ثم بضربة واحدة تطير .

- امي !!

الام : لا تحدثني طويلاً .. اذهب هناك وقل لي كيف اصبحت طفولتي  
الان .

\*\*\*

شرطي : الى الباص .

يتدافع الناس .. ثم ينتظمون في صف طويل .. يذهب آخره في فراغ  
عميق ، ويصعد اوله درجات الحافلة .

امراة .. طفل .. شيخ .. حقائب .

نظرة من داخل الحافلة الى الساحة والمشهد :

استراحة من الواح الاسبست واعمدة الحديد ، مقاعد خشبية تفضي  
الى الجمر رغم سحابة الظل المجففة التي تربض فوقها .. حقائب .. غلب  
عصير متناثرة .. ذباب ثقيل .. وظهيرة مبكرة .. والناس ينتشرون في  
الحوارات .

- يا ابا محمد ..

والحافلة تبتعد الحافلة تتجه الى الجسر .. لا شيء يؤكد العودة سوى  
اطلالة الحقائب فوق ظهرها .

ام محمد تتأمل التطريز الدقيق على الثوب .. ولكن من يستطيع ان يرى  
الان بوضوح ان كانت داخل الحافلة ام في الاستراحة .. وتعبير الاغنية ..

في الازقة حيث تنام الظلالُ

على كلمات الاناشيد في الرحلة المدرسية

يمتدُّ يومك عبر البيوتِ

غناء لسيدة في الفناء

تخيّطُ على ثوبها صورةً للحمامِ

واخرى لبارودة ساحلية .

منذ الان لن يستطيع البحري ان يرفع عينيه عن طيور الحمام التي  
تغطي القماش الاسود بهدوء فذ .. « وتأتي الاغنية » ..

في الطريق الى السوق تحمل سلتها

والصغير على كتفها يداعب عرق الحمامِ

وتمضي الى السوقِ

يرنو الصغيرُ لفاكهة في الصناديقِ

تزجرهُ

تتجولُ

تبتاعُ في اخر الامر ارغفة وتعود .

فجأة يكاد ينطلق النداء من بين شفثيه : أمي

ولكن قرقعة الجسر الخشبي تحت عجلات الحافلة تعيده الى وعيه من جديد ..  
الحافلة تتعثر .. النهر ينساب شاحباً ويندس بين اوراق الدفلى بخجل .  
«وتأتي الاغنية » .

في الازقة حيث تموتُ الظلالُ  
تفتشُ عن طفلها الغائبِ  
تتلفد عرقَ الحمام على كتفها  
ولا تجد البندقية .

والطفل يوشك ثانية ان يصرخ : امي .. هذا انا .. ويصمت البحري  
ثانية .

## الم أقتلك منذ عامين

اشجار متناثرة .. موقع عسكري متقدم .. علم بنجمة سداسية ، حافلة تتحرك .. فتتابعها عين رشاش خارجة من خلف حاجز ترابي مرتفع مغطى باكياس الرمل والعوارض الحديدية ، تتوقف الحافلة .. فتزداد عين الرشاش تحديقاً فيها بحذر كامل .

يصعد جندي الى الحافلة الان .. سلاحه في يده .. سلاح يستخدم كثيراً .. قديم . اما الجندي فلا يستطيع احد ان يعرف من اي بلاد الدنيا جاء او في اي مجزرة تلقى علومه العسكرية :

- ربما من دير ياسين .

- لا .. عمره اقل من ذلك .

- ربما من بيروت .. نعم ربما جاء من بيروت .

- او قرى الجولان .. او من مخيم بلاطة ..

\*\*\*

جندي يطلق النار .. نفس الجندي الذي في الحافلة .. والمشهد مخيم

كامل .. وطفل في السادسة من عمره يسقط الان .

\*\*\*

الجندي يجمع التصاريح .. يحدق في وجوه الركاب ، الجندي يتوقف  
عند « البحري » يتبادلان نظرات ثابتة .

الجندي : الم اقتلك في مظاهرة قبل عامين في مخيم الدهيشة !!!  
البحري : اظن انك قتلتني فعلاً .. ولكن لم يحدث ذلك في الدهيشة . كان  
قبل ذلك بزمان طويل ..

الجندي : اين ؟ !

البحري : في كفر قاسم .

الجندي : ولكنني .. ولكنني لم اكن هناك .

البحري : عجيب .. انك تشبیهه كثيراً ولكن يخلق من الشبه مليونين !!!

\*\*\*

الحافلة تتحرك والجندي يختفي .. تنحدر ثم تصعد .. تتوقف امام مركز  
الحدود « الاسرائيلي » .

مجندات .. جنود ..

عائدون الى وطنهم .

حقائب مبقورة البطون ..

ملابس مبعثرة ..

والبنادق كثيرة .

نظرات يقظة متبادلة بين ركاب الحافلة والجنود .. نظرات حقد معلنة  
رغم كل محاولات اخفائها .

جندي للسائق : اوقف محرك الحافلة .

السائق يمثل للأمر العسكري .

\*\*\*

الوجوه داخل الحافلة تنزع عرقاً .. الاطفال فصل بكاء حاد ، وقف بعض  
الرجال في الممر الضيق بين مقاعد الحافلة .. بعد قليل يكتشفون أن الهواء  
الساخن يطبخ ادمغتهم .. يعودون الى مقاعدهم واحداً واحداً ..  
رجل في الخمسين يرتدي قمبازاً .. حطة وعقلاً يهمس : اظننا لن نبقى  
احياء بعد دقائق .

امراة : يريدون قتلنا خنقاً داخل الحافلة .

صوت : هذه امنيتهم .. الا يبقى منا احد .

امراة : ولكنهم لن يستطيعوا .

\*\*\*

جندي في الفراش .. والده بجانبه . نفس الجندي الذي صعد الحافلة  
ليجمع التصاريح « شلومو » .

الاب : كان يجب ان نقضي عليهم كلهم عام ٤٨ .. لو فعل كل منا ما  
كان يجب ان يفعله لما شق جنبك نصل ذلك الخنجر اللعين .. « بحق »  
نعم .. كان يجب ان نبيدهم منذ ذلك الوقت .



## هُنَاكَ رَضِيع .. هُنَاكَ اسْتَفَار

وجه احد الجنود القريبين من باب الحافلة يحتشد باحتقان دموي ..  
يفك الزر الاخير في قميصه .. الان .. صدره معرض للهواء ، يعم احتقان  
اكثر دموية كل اجزائه .

الان يبدأ الهواء بالاحتراق داخل الحافلة .. تتصاعد السنته الدخانية  
تدريجياً .. السائق يفقد الصبر .. وهو يحدق في وجوه الركاب ويدوي فيه  
صراخ الاطفال .. فجأة يدير محرك الحافلة .. فينطلق الهواء من مكيفاتها  
ليبدد الجمر ..

الجندي المحتقن في الاسفل ينفجر .. يعود المحرك الى صمته بعد  
زمن .. وقد اصبح ظل الشجرة الهائلة الرابضة في باحة عنابر التفتيش  
يغطي جزءاً من الحافلة .. يصرخ جندي :

يلاً انزلوا

رجل في الخمسين يقول للركاب : الاطفال والنساء اولاً .. الاطفال  
والنساء ..

« كَأَن الحافلة مركب يغرق »

ويواصل : النساء والأطفال أولاً .. الأطفال تستجمع الاجساد بقاياها ..  
تنزلق باتجاه الباب ، ثم الى ايدي الجنود والمجنذات التي تتصفح منحنيات  
الاجساد بدقة ..... قبل ان تسلمها لجهاز التفتيش الالكتروني ذي الباب  
القوسي ليكمل المهمة .. في الباحة الترابية تحت ظل الشجرة الهائلة ..

تعبر امرأة سميثة البوابة الالكترونية .. ينطلق جرس الانذار .. تأمرها  
مجندة شابة - تتدلى قبعتها بكسل على ظهرها - بالعودة واخراج كل ما في  
ثيابها .

تعود .. تخرج كل شيء .. تعبر البوابة .. يدوي جرس الانذار ثانية ..  
تأمرها المجندة بالعودة .. تعود .

يتعب جرس الانذار او يعتاد في المرة الثالثة .. يظل صامتاً .

رجل في الخمسين يجتاز البوابة الالكترونية . يتكرر المشهد : دائماً  
ينطلق جهاز الانذار .. رجل .. امرأة .. طفل .. رجل .. فتى ..

صبية تحمل رضيعها .. تجتاز الباب الالكتروني .. ينطلق جرس  
الانذار .. تأمرها المجندة ان تعود .. ويشاركها جندي اخر اصدار الأوامر  
من بعيد .. تعود .. تقلب ثيابها .. تبحث بهدوء ..

في الهواء المقيد ، الذين تم تفتيشهم يأخذون مقاعدهم في الظل  
بانظار الانتهاء من تفتيش الباقيين ، عصافير الدوري تتقافز بألفة تحت  
اقدام « العائدين » وقد استعادت طمأنينتها .. كأنها تقول لأولئك الساهمين  
على مقاعد الخشب القاسي : اعرفكم .

الصبية تحمل الرضيع وتدخل ثانية قوس الالكترون .. فينطلق جرس  
الانذار ..

المجندة تفقد أعصابها الان .

تأمرها : ضعي الرضيع هناك مع حاجياتك ثم مري عبر الجهاز وحدك .

الصبية تمتثل للامر .. فتمر عبر الجهاز وحيدة من رضيعها ..

الرضيع الذي كان يبكي طوال الوقت توقف فجأة فعم الصمت ..  
وعندما امتدت الاعناق لاستطلاع ما يحدث ، كان الرضيع يحدق في الوجوه  
دهشا اكثر منهم ..

الصبية تجتاز الباب القوسي وحيدة .. الجرس غارق في صمته .  
المجندة وقد قفزت معلقة اكتشافها : الرضيع هو السبب اذن .  
وتقدمت نحوه وهدقت فيه .

« بينها وبين نفسها » : لعل المرأة اخفت سلاحاً داخل ثيابه .. ولكن ما  
الذي يمكن ان تخفيه في ثياب رضيع ؟ ..  
ارتجفت فزعة .. ولكن لعله ..

المجندة تعبر البوابة الالكترونية حاملة الرضيع .. يدوي الجرس من  
جديد .

تصرخ المجندة : انزعي ثياب ابنك . تقترب الصبية بثقة .. تنتزع ثياب  
الطفل .. الآن يستلقي عارياً تماماً كراس حربة ، كل الوجوه تتحلق ..  
والعيون تسمرت فوق ملامح الطفل .. خليط عجيب من نظرات الكره التي  
يطلقها الجنود .. فتردها نظرات المحبة والترقب الحذر للعائدين .

المجندة تنزع كل ما عليها من حديد .. تخطو باتجاه جرس الانذار  
المتحفر حاملة الطفل .. الجميع يحدقون بها .. وهي تنظر حولها مرتبكة  
كأنها تحمل بين يديها قنبلة موقوتة يمكن ان تنفجر في اية لحظة .

وما ان تخطو خطواتها الاولى عبر البوابة .. حتى يدوي صوت جرس  
الانذار عالياً .. المجندة تتراجع فزعة : في داخله شيء اذن .

يصرخ الجندي الذي جمع التصاريح .

وتصرخ المجندة : خذه الي جهاز الاشعة يا « شلومو » . يعم الصمت ..  
يبتعد الجنود قليلاً مولين ظهورهم للوجوه التي تحاول عبثاً كبت ابتساماتها .



## عاصفة الكمام

عصفورٌ دوري .. بشغبٍ ساخرٍ وعجيبٍ يعبر البوابة الالكترونية  
كمصادفةٍ مدبرة ، شارك جميع الركاب في التحضير لها « يدوي جرس  
الانذار » !! يهبط العصفور بهدوء وقد اجتازها ، في الجانب الآخر تحت  
المقاعد يلتقط ذرات تراب وفتات خبز جاف ..

يلتفت جندي ومجندة .. نظراتهم تتساعل .. ام محمد تشير الى  
العصفور .

الجندي لا يصدق ذلك .

ولكنه يتوجه اليها صارخاً : انتِ دبّرتِ كل ذلك .. انتِ .

كانت تتنقلُ نظرُها

ما بين سكونِ النهرِ

وبين اليابسةِ

وكان الجسرُ الخشبيُّ هنالك لا يُوصل احداً

كلن الجسرُ بدأ تَضُمُرُ

والارض على بُعْدِ ذراعٍ تَنَاضَى  
 والمرأة كانت تَتَنَقَّلُ  
 ما بين الضفة والضفة حزناً  
 لكن خيوطاً من عرسٍ سوف يَجِيءُ تُعْرَشُ في عينيها  
 وأشار الجندي اليها  
 كانت تزهو بالثوب  
 امرأة في الستين  
 واجمل من ازهار الدنيا  
 يانعة كالعشب على سطح البيت الاول  
 هادئة كالساحل .. كالنصر  
 يا امرأة .. انت  
 اشار الجندي اليها  
 والعالم يزحف كي يتفيا في رديها  
 « المرأة تحق في الجندي .. تتحرك اجنحة الحمام المطرزة على  
 الثوب كأنها فاتحة القيامة » .  
 صرخ الجندي كأن  
 حمام الثوب الهاديء باغت رشاشاً في يده  
 فانتفض هنالك مذعوراً  
 - يا امرأة  
 كانت تتأمل  
 من ابصرها بالثوب القروي هنالك واثقة بالزيتون .. وبالشمس  
 الجالسة على اطراف اريحا  
 من ابصرها في تلك اللحظة كالحقل وكالمهرة  
 او موجة قمح طائرة  
 رفع الكفين الى الله  
 تمنى ان تصبح أمة  
 كانت خمسة الاف سنة

من سيرة أمواج البحر هنالك فيها ملثمة  
وانتفض حمام الثوب الهاديء ثانية  
فارتجف الجندي القابع في الكاكي المبتل بدم صغير من بيروت  
وتقدم يتعثر

يا امرأة

هذا الثوب لنا

واشار اليها

فانتفضت ازهار اللوز

وحوم في الافق حمام

وانقض على المدفع في يده

وابتسمت ام محمد

فارتجف الجندي

تقدم اخر

فانتفضت مثل حمام الثوب

احاطوها بالاسلاك

فالتفتت باسمه قالت

قبل تفجر عين النهر

وقبل تكون اول غيم

كان الزهر اليفأ في هذا الارض

ولم يتسلخ بعد بهذي الاشواك

خاطت أُمي هذا الثوب

فابتكر الله الغابات الامواج

واطلق ضوء الافلاك

هذا الثوب لنا من قبل هبوب الريح

وبعد هبوب الدبابات

يا جندي ..

هذا ثوب فلسطين

وثوبك هذا الدّم الناشف في الكاكي

يتراجع الجنود .. يختفي مركز الحدود .. البنادق .. الحافلة .. ولا يبقى  
سوى شجرة خضراء هائلة .. رضيع وامه .. و .. أم محمد وركاب الحافلة ..

« البحري » ينفض رأسه بقوة .. يفرك عينيه .. يفتحهما بعد هدوء  
عميق يدوم عدة ثوان .. بنادق .. جنود .. مركز حدود و ..

\* \* \*

داخل المركز .. حواجز خشبية مرتفعة تتقاطع فتشكل غرفاً صغيرة ..  
زنازين صغيرة للتفتيش .. وممرات ضيقة ، تشبه المتاهة ، تفضي الى  
قاعات بمقاعد خشبية .. وسقوف عالية .. هيكلية البناء تعيدك الى اجواء  
المستودعات العملاقة في مراكز الجمارك .. يافطة صغيرة صفراء مكتوب  
عليها باللون الاسود « ايها الزائر الكريم !! في حالة الشكاوى يرجى  
مراجعة ضابط امن الجسر » .. ويافطة اخرى تنصح بتسليم اي شيء حملك  
ايها اناس من الخارج وتشك فيه ، واخرى ترحب بالقادمين بحرارة في  
ارض « اسرائيل » !!

مرة ثالثة ورابعة قبل الدخول .. لا بد من المرور عبر بوابة تفتيش  
الالكترونية اخرى بعد تفتيش جسدي .. ثم .. الجميع في الداخل .

يطلق البحري عينيه تبحثان عن أم محمد .. لكنه لا يراها ، تزداد حركة  
عينيه قلقاً .. يبحث الآن بكل حواسه .

خارج المركز

كان يسمع رنة صوتها

ويلمس انعكاس الالوان الخارجة من ثوبها على سقف القاعة العالي .

يشم رائحة امه .. ويتذوق عنقود عنب .

كان يرى الشيء الذي لم يره بعد ..

كان يرى كل ما رآه واحبه وتمنى ان يعود في لحظة معجزة .

وصوت الجندي يعبر القاعة من لهيب الظهيرة :

هذا الثوب لنا ..

وتضحك ام محمد ..

فيسمع البحري قرقعة سلاح .. واصوات محركات الدبابات والعربات المصفحة .. كل ما يصل اليه من حركة ، يرسم له صورة كاملة لحصار ما .. غريب وشرس .

يحاول البحري الخروج .. الا ان حارس البوابة الالكترونية يمنعه . ولكنه يلمح كل شيء لثانية واحدة .. ليس أكثر ، من فوق كتف الحارس الذي بدأ يدفعه باتجاه الداخل ..  
والمشهد :

سيدة بثوبها المفتوح .. باسمة .. اربع دبابات .. وعدد من سيارات الجيب ، جنود يهرولون من كل الجهات .. بعضهم يفادر قاعة التفتيش الى الخارج .. فينظر العابرون الجسر في وجوه بعضهم بدهشة .. ام محمد داخل الحلقة .. اسلاك شائكة تتحلق حولها .. تبتسم ..

صوت طائرة مروحية يقترب . يدور في سماء الباحة الضيقة .. وتتوقف هناك بين السماء والارض كأنها مدلاة بخيط من كوكب وهمي ثابتة .. سوى هديرها الذي يشق الدقائق ..

الجميع في الداخل يرون الطائرة عبر الشبائيك الضيقة للقاعة الواسعة ..

تهبط الطائرة ويذهب كل شيء في الصمت .. يعود الجنود .. الى مواقعهم في الداخل .. وتعود قرقعة جنازير الدبابات .

لم يعد احد يستطيع ان يتنبأ بالذي حدث .. ولكن ام محمد لم تطل من البوابة الالكترونية للقاعة طيلة وجود الناس فيها ..



## دولته في حاضنة بلاستيكية

العائدون وقوف الآن .. طابور يعبر باتجاه قاعة اخرى .. قبل الجلوس على مقاعدها يخلعون احذيتهم ويضعونها في صناديق بلاستيكية .  
- كله بشلح هون كندرته .  
وتختفي الاحذية .

فتاة تنتعل « زنوبة » خفيفة : نعل رقيق ، وقطعتا بلاستيك تشكلاان الرقم « ٧ » مغروسة اطرافه داخل النعل ، تبقي « الزنوبة » في قدميها .  
الجندي « شلومو » : وهذه كمان .

تخلعها بصمت .. تلقيها بأناقة ساخرة مبالغ فيها داخل الصندوق ..  
تختفي الاحذية .. يمضي بها « شلومو » الى غرفة تفتيش الكرونية اخرى !!!

الصبية لرضيعها : كأن دولتهم تعيش في غرفة العناية المركزة ..  
محاطة بكل هذه الاجهزة .. يخافون اذا تعطل احدها ان « تفرط » او لعلها تشبه حاضنة اطفال الخداج البلاستيكية .

\*\*\*





ولكن المسافة بينك وبين الباحة الاخرى للمبنى حيث العربات تنتظر ..  
طويلة ..

اسماء بعض العائدين تأتي عبر مكبر صوت من تلك التي يستخدمها  
الجيش .. والاسماء تأتي بحروفها العربية مثقلة بلكنة عبرية .

البحري : لماذا ؟

طفل صغير يجيب بلا اكتراث : مخابرات !!

مقعد طويل وبجانبه آخر .. مجموعة من الشباب يتناشرون على  
المقاعد ..

هنا الشباب عنوان خطر

والطفولة خطر

واثواب الامهات كذلك ..

وبطونهن محشوة بالخطر ..

\*\*\*

داخل غرفة التحقيق .. شخصان .. شابان انيقان .. لا يوحيان ابدا  
بأنهما قادران على القيام بهذه المهمة .. والبحري .

الاول : اين تسكن ؟

- عمان

الثاني : من اي بلد انت ؟

- من القدس

الثاني : هذه اول زيارة لك ؟

- الثانية .

الاول : متى كان ذلك ؟

- منذ زمن بعيد .. لانني لم اعد يومها !! ولم اعد اذكر .

الثاني : كيف ..

- كأني بقيت هناك قرب سور من نباتات الصبار .

الاول « بريية » : ولكنك الآن هنا .

- من يستطيع ان يثبت ذلك ؟

الثاني : كأن اقتلك مثلاً ..

- ولكن هل لديك وسيلة غير القتل ؟

الاول : ماذا تعني ؟

- لا شيء بالتأكيد .. ولكن هل لديك وسيلة غير القتل لاثبات اننا الاثنان

هنا ؟

الثاني « للاول » : يهلوس ربما

الاول : لك اقارب هنا ؟

- عمي وخالتي و .. وانا !!

الثاني : ماذا تعمل ؟

- مدرساً

الاول : واخوتك ماذا يعملون ؟

- مهن مختلفة

الاول : الاكبر منك .. ماذا يعمل ؟

- فنانا

الثاني : يرسم ؟

- يرسم !!

الاول : ماذا ؟

- زيتون .. عصافير .. بحار وبيوت قديمة .. رجال .. اطفال .. نساء ..

حياة .. يرسم الحياة .

الثاني : والذي اكبر منه .. ماذا يعمل ؟

- نجارا

الاول : كم عدد افراد الاسرة ؟

- ١٢ فرداً .. عشرة اخوة واخوات

الثاني : اسرة كبيرة .. لماذا ؟

- مرة سألت امي هذا السؤال .. كان ذلك منذ زمن بعيد .. بعد ان ولدتني  
بأيام هكذا يهيا لي احياناً .. فقالت .. غداً تعرف

\*\*\*

سيارات سرفيس تتوجه الى جنين .. رام الله .. نابلس .. طوباس ..  
قباطية .. الشهداء .

\*\*\*

مشاهد تتداخل .. مثل جذور اشجار مختلفة تتقاطع في عمق الارض ،  
ولكنها تقضي في النهاية الى الخضرة .. راسمةً ملامح الوطن .

زيتون .. تين .. نخيل .. صفصاف ودوال .. ياسمين .. اسوار  
حجرية .. رعاية اغنام .. وفلاحون .. محاريث .. ينابيع تشق الارض ..  
عناصر مختلفة تتلاصق لتكوّن صورة متكاملة تكملها تحليقة واثقة لصقر  
عال .

## المذبحة .. تجاوز الماضي وتنظر شلومو في المنعطف التالي

نابلس : باعة الخضار .. الدوار .. صعود جرزيم .. عيبال .. باعة  
الحلويات .. فتيات الجامعة العائدات من الكتب ..

جنود يعبرون الشوارع باتجاه السوق القديم .. يقظة كاملة .. فأطفال  
الآر بي جي ، عندما افتقدوا اسلحتهم اهدتوا ببساطة الى ان السلاح الذي  
لا يمكن ان يزول او ينتزع هو الحجارة . غداً ذكرى مذبحه صبرا وشاتيلا .  
شلومو لرفيقه في العربية العسكرية :

- هذه الحركة الاعتيادية للناس .. لا تسر ، كأننا نحن وحدنا الذين نعرف  
ان غدا ذكرى صبرا وشاتيلا !!

- دائماً « هم » هكذا .. يخرجون علينا من طمأنينتنا .. ثم .. ثم ان المساء  
لم يأت بعد .

- لقد قتل ولد عربي في مخيم بلاطة هذا الصباح .

- نشرة الاخبار تقول ان الجندي اطلق النار في الهواء ..

- نعم .. مثلما نفعل دائماً .

شلومو يعدل جلسته .. فيقرقع السلاح اثر اصطكاكه بحديد صندوق  
العربة العسكرية .. ويبدو حينها مدججاً بما يحمله اكثر مما يتصور انسان .

وفجأة يعود فيتذكر : نعم .. غدا ذكرى صبرا وشاتيلا .. لا نستطيع  
نسيان ذلك .. يجب ان لا ننسى الغد .. ولكن لماذا كل ذلك : المذبحة خلفنا  
فما الذي يجعلها تقفز وتنتظرننا في زاوية اليوم التالي .. الذي نتجاوزه يعود  
ليتناوزنا .. كأننا لا نستطيع ان ننتهي من فعل شيء واحد .. واحد فقط ..  
ونقول هنا نضع نقطة .. وسطرا جديدا او صفحة جديدة .

عيناه تعودان الى الشارع بصحوة مفاجئة .. يريد وجهه .

« لنفسه » : مرة ثانية ابتعد وانسى انني هنا في نابلس ولست في  
« الون موريه » . يتحسس سلاحه .

## ”رامبو“ في صفوف الجيش

محكمة ..

محكمة اسرائيلية .. قضاة ، جنرالات ، حرس .. عساكر في الخارج  
واسلاك شائكة .

اسرائيلي يقف خلف حاجز المتهمين بيده حبل انيق يؤدي الى عنق  
كلب من فصيلة متميزة .

القلق يجلل الرجل بصفرة ما .. فالحكم سيصدر بعد قليل ..

الكلب واثق ويبدو مراعيًا ومدركًا لهيبة المحكمة العسكرية !!!

كبير القضاة يدلي بالحكم :

« انها المرة الاولى في تاريخ القضاء الاسرائيلي التي نوقع فيها عقوبة  
الاعدام » .

امراة في وسط القاعة تصرخ عن غير ارادتها ، في حين يتمالك الرجل  
الواقف في قفص الاتهام نفسه ، سوى ارتجاف بسيط يبدو واضحاً اكثر في  
امتزاز الحبل الذي يوصله بالكلب !!

القاضي معيداً ما قرأه : انها المرة الاولى في تاريخ القضاء الاسرائيلي التي نوقع فيها عقوبة الاعدام بكلب ، بعد ان عض سبعة اشخاص في عام واحد .. ولكن بما ان الكلب « رامبو » من فصيلة قوية وتتميز بالذكاء .. فاننا منحناه فرصة وحيدة تنقذ حياته .

« الرجل في قفص الاتهام يستعيد بعض حيويته .. امل يغزو عينيه والمرأة تستعيد وعيها .. والكلب يواصل صمته » .

القاضي « يواصل » : وهذه الفرصة تتمثل في ان يتم تجنيد هذا الكلب في صفوف الجيش الاسرائيلي !!

ابتهاج يعم القاعة .. لا يخلو من بعض الحزن على وجه الرجل الواقف في قفص الاتهام ، والمرأة في القاعة ، وهما يحسبان الآثار المترتبة على فراقهما لكلبهما المميز .

القاضي : لقد كانت وزارة الصحة الاسرائيلية التي رفعت الدعوى بصفتها مدعية بالحق المدني ضد هذا الكلب ، قد عرضت حلاً وسطاً امام ما اثارته القضية من اصداء ، حيث اعلنت استعدادها للتنازل عن الحكم بأعدام الكلب « رامبو » باعتباره خطراً عاماً ، اذا التحق هذا الكلب بالوحدات الخاصة التابعة للجيش الاسرائيلي العاملة في « المناطق المحررة » اذ يمكن في هذه الحالة ان يكون نزوعه للعض مفيداً للمجتمع !!

\*\*\*

جنود مدججون بالاسلحة يعبرون الطرقات .. دوريات راجلة واخرى محمولة .. والسلاح محاولة القاتل لانتزاع الهواء من هداة الرصيف ، والظل من امتداد القامات .

كل هذا السلاح !! كل نظرات الحقد هذه !! وكل هذه القبعات الحمرة !! في شارع لا يتسع لمرور الكراهية !!

الناس يفتتحون يومهم بطيبتهم .. ويشرعون الصدور لخطوة الشمس في دمهم . والنهار قابل ليهجة التلاميذ وزهو الطالبات بجداولهن .

الجنود يعبرون الطرقات .. وكل السلاح مسدد للحظة التالية .. حيث  
ترتفع الشمس وتهبط في « المنارة » .. كل هذا السلاح مسدد للماضي ...  
للحاضر لرام الله ... والمستقبل ... ولذا فان الجندي خارج الزمن ... خارج  
المكان ... وهو يدرك الان انه خارج كل شيء ... فالى اي مدى يستطيع ان  
يقبع في داخل ذاته الموحشة .

وحدها البندقية مؤنسته

والناس يفتحون يومهم

\*\*\*\*\*

امتدادُ الشوارع لي  
الحكاياتُ هذا الهديلُ السطوحُ  
الغناء ... الصدى والمدى : منزلي  
رايتي : جبهتي  
وانا : جبلي  
والعصافيرُ ... زيتونُ هذي التلال  
المصابيحُ والميجنا : رُسلي  
خطوتي : الأرض  
والشهادة : مَعقلي

\*\*\*\*\*

سيارة جيب مدنية، مستوطنون يطلون بأسلحتهم الجاهزة من صندوقها  
بينما ينثر احدهم بياناً في شوارع نابلس ... ليتكرر المشهد بعد ذلك  
بسيارة اخرى في القدس ، الخليل ، بيت لحم ... رام الله .  
البيان رسالة موجهة الى المواطنين الفلسطينيين ، احتل النصف  
الايمن منها نصُّه العبري والنصف الايسر النصَّ العربي وبينهما تخطيط  
لقلب يعد بالحب !!

والبيان يقول : بمناسبة قرب الاحتفال بمرور اربعين عاماً على اقامة

« اسرائيل » ندعو المواطنين العرب في الضفة الغربية ، بالتبرع لصالح  
« جيش الدفاع الاسرائيلي » معلنين ان اهدافنا تتمثل فيما يلي :

- توفير وسائل الانقاذ وانشاء المؤسسات الطبية التي تتولى معالجة الجنود  
الاسرائيليين .

- توفير سبل التعليم والثقافة للجنود الذين لم يتمكنوا من الحصول عليها  
قبل التحاقهم بالجيش .

املين ان يلقي توجهنا هذا استجابة شخصية  
التوقيع :

« صندوق ليفي من اجل امن اسرائيل » .

## لهذا الجُنْدِي مُهمّةٌ واحدةٌ هي القَتْل

سجن .. ابراج مراقبة ... عيون بنادق تمسح الساحات بشكل دائري ..  
عربات جنود خلف اسلاك شائكة ... اعشاب جافة... هوائيات لاجهزة  
اللاسلكي .. غروب ... رام الله .

في الداخل : غرفة صغيرة بلا نوافذ ... باب حديدي ... كرسيان ..  
طاولة .

محقق يدور في ارجاء الغرفة .. شعر احمر ... طويل ... عينان  
ثاقبتان ... مليونتان بالثقة !!

البحري واقف قرب الباب ... يُغلق من الخارج .

المحقق « شلومو » : ها نحن نلتقي مرة اخرى ... تفضل ... اجلس  
هنا ... على الكرسي ... اجلس جيداً ... لانك لن تخرج ثانية من هنا ... كل  
شيء لدينا اليوم ... كل المعلومات ... رحلاتك الى بيروت ... دمشق ..  
عمان ...

اقامتك في بيروت ... المصيبة في آخر شارع داود ابو شقرا ... في

الطابق الثالث من بناية « ابو احمد » واقامتك في دمشق خلف الجامعة ...  
كل هذه الامور واضحة لدينا الآن ... اتصالاتك ... تحركاتك كلها مكشوفة  
لنا !

البحري يتابع حركة شفتي المحقق بصمت هادئ ... البحري يبتسم .  
المحقق : تبتسم !! « يوجه لكمة شديدة الى وجه البحري ... يقع ارضاً  
والكرسي » .

البحري يعدل وضع الكرسي ... يأخذ مكانه بهدوء كما كان .  
« ساخراً » : هذا كل ما لديكم ؟

المحقق : واكثر !!!

البحري : اظن انه لم يعد لي منفذ الآن ... ويجب ان اعترف !!!

المحقق : انت قتلها !!

البحري : اذن سأخبرك بكل شيء ... انت تسكن في الطابق الخامس  
من البناية الثانية في شارع صهيون - حيفا ، بيتك مكون من ثلاث غرف ..  
وغرفة النوم تطل على الميناء ... الشقة مفروشة بسجاد رمادي والجدران  
بيضاء .

يرتبك المحقق ... وكأنه في مصيدة .

البحري يواصل : سرير غرفة النوم من الخيزران ... وسريرا ابنتيك من  
الخشب الابيض وهناك صورة معلقة في غرفتهما ، لرامبو ، ليس الكلب  
الذي قررت محكمتم منذ ايام ان يقوم بالخدمة في « المناطق المحررة » بل  
رامبو الذي يحزن انتصارات امريكا الباهرة في فيتنام ... على الشاشة .

المحقق ... مأخوذاً بما يسمع ... يحدق ببله واضح ... وكأن كل شيء

اعد لقلته في هذه اللحظة .

البحري : زوجتك ... نعم زوجتك تعمل في بنك « لؤمي » وتحب اللون  
الاخضر بدرجاته ... يذكرها ذلك بمنطقة « غراتس » في النمسا ... مسقط

راسها .

« المحقق ينهار .. يخطو باتجاه الباب الحديدي صارخاً .. يدق الباب بعنف . يأتي الحارس : يصرخ اخرجني من هنا بسرعة ... بسرعة هيا ... »

البحري يضحك بصوت مرتفع ويمسح خيط دم ينبع من شفثيه ..

« لحظات صمت » ... يتأمل البحري الغرفة ... جدرانها السود ... نقاط الدم المتناثرة فوقها ... وكأن الجدار تعرض لعدة صليبات من الرصاص ... خطوط هلالية للدم ... تبلغ السطح في بعض المواقع ...

شلومو يعود .... خلفه جنديان من ذلك الصنف الذي يبدو انه خلق فقط لمهنة واحدة ، هي القتل .

شلومو خلفهما الآن . يرتجف وهما يتقدمان ... يصرخ ...

- هذا مخرب خطير ... انه يعرف كل شيء عني ... البيت ... الاطفال .. زوجتي ... عملها ... كل شيء ... كل شيء .

يبدأ فصل من الضرب العشوائي ... يعقبه تعذيب منتظم ... البحري غائب عن الوعي ... مياه تتدلق عليه ... البحري معلق من قدميه في اعلى الغرفة ... الضرب مستمر ... يخرج شلومو

بعد ساعتين يدخل مسؤول المخابرات العسكرية للمنطقة ...

شلومو بجانبه يرتجف .

المسؤول : قلت لي انه يعرف كل شيء عنك .

شلومو : نعم يا سيدي .

المسؤول : هل اتصلت بزوجتك واطماننت عليها وعلى طفلتك

شلومو : نعم يا سيدي

المسؤول للجلادين : انزلاه .

يتقدمان ليحلا وثاقه ... ينتهي واحد منهما قبل الاخر فيبقى معلقاً من

قدم واحدة .. يتقدم المسؤول منه : دعوه للحظة ... هكذا ...

يقترّب منه ثم يدفعه بقوة فيدور كمروحة في السقف ، يحلان وثاقه  
فيهوي على ارض الغرفة .

المسؤول : اعيدها لوعيه .

اجلساه على الكرسي

المسؤول « للبحري»: كيف الحال الآن ... ستحدثني عن كل شيء ...  
ليس كذلك ... هذه المعلومات الدقيقة ... « صمت » بالمناسبة هل تعرف  
شيئاً عني ...

وفجأة احس المسؤول بهذا الاحتمال فارتجف، الا انه ابعد هواجسه .

المسؤول : في أيّ تنظيم انت ؟

البحري : لست منظماً

المسؤول : هذه المعلومات الدقيقة يلزمها جهاز منظم ... وتقول ان لا  
علاقة لك بالتنظيمات .

البحري : ليس لي اي علاقة

المسؤول : ولكن كيف تفسر معرفتك بكل هذه المعلومات الدقيقة عن  
الضابط « شلومو » ؟

البحري : « وقد بدأ يستعيد قوته ... حين بدأ يدرك بأنه اوقعهم في  
مصيده » : كل ما في الامر انني عملت في حيفا قبل اربع سنوات مثلما  
عمل غيري من العمال هناك ... عملت « طراشاً » وللمصادفة قمت بطلاء  
جدران بيت الضابط « شلومو » وعندما بدأ يحقق معي تذكركه ... فقط هذا  
كل ما في الامر ... ولذلك اعرف كل هذه الاشياء عنه .

« شلومو » يعود بذاكرته للوراء ... يهتز كورقة شجر مُضْفَرَة يوشك  
الخريف ان يبتلعها ... تسقط يداه على جانبيه بحركة لا ارادية كأنه بدأ

يتهدم وينحني رأسه الى الامام .. وجهه مسود ... وقوته تسربت من  
اصابعه ... يخنفي كل شيء ويظل وجهه على حالته هذه ...



## شلومو ورامبو في مهمة مشتركة

خارج الزنزانة مسؤول المخابرات يتتعد ... شلومو خلفه ... المسؤول  
لشلومو: لا فائدة منك بعد الآن ... ستعود للشوارع ... للدوريات ...

\*\*\*

شلومو ورامبو ... ودورية راجلة تعبر شوارع غزة .

\*\*\*

قاعة صاخبة ... اغنيات ... فلاحات بأثوابهن المطرزة . بالحريز ...  
اجواء احتفالية مشحونة بالترقب ... والاغنية تشق طريقها بثقة خطوة  
الشمس ...

الفرقة تغني والصبايا والشباب يدبكون ... فتتصاعد اللحظة تلو اللحظة  
تلو اللحظة لتشكّل عرس الحماس .

\*\*\*

شلومو ورامبو ... ودورية راجلة تدور حول مبنى القاعة من الخارج .

الفرقة تغني :

ايتها الجناح والصباح  
والوردة النبيلة ايتها الحرية

الموجودون في القاعة :

باسمها نغني وباسمها نموت  
وباسمها نعلمُ الازهار والبيوت

تنتهي الاغنية بالصوت الجماعي ... تتوقف في تلك النقطة التي تسفر  
عن هدوء عميق خاطف ... عقب سمفونية حارة .

عريفة الحفل: اليهن وهن يقتطفن اجمل وانبل ما في قلوبهن ...  
ويمنحننا مجد الحاضر وشمس المستقبل ... اليهن ... الى الطالعات من  
جذوع الزيتون وموج البحر ... من حقول القمح وبرتقال السواحل ... الى  
امهات الاعراس والغيوم والاشجار الطيبة ... الى امهات الشهداء سنقدم  
اليوم بعض الهدايا الرمزية ... لذا نرجو كل من استشهد لها واحد من  
ابنائها ان تصعد الى خشبة المسرح .

فلاحات يتعلمن

اصوات :

- قومي يا ام احمد

- قومي يا ام عبد الله

- قومي يا ام سعيد

- قومي يا ام محمد ...

تعم الحركة ... وتبدأ مجموعة من النساء بالصعود الى خشبة المسرح  
المتواضعة في حين تقوم مديرة الجمعية بتسليم دروع نحاسية منقوش  
عليها شجرة زيتون وشعلة الى الامهات . « عددهن حوالى ١٠ » .

عريفة الحفل : الآن ستقدم الجمعية هدية لمن قدمت شهيدين

للوطن ...

تقف امرأة ... تتبعها اخرى واخرى .

امرأة : قومي يا ام محمد ... لماذا تجلسين ... هيا

تنتصب ام محمد ... تصعد خشبة المسرح تتسلم درعاً آخر وتعود الى مكانها .

عريفة الحفل : سنقدم الآن هدية للام الفلسطينية التي قدمت ثلاثة شهداء .

« تتلبك » أم محمد في مقعدها ... تنهض ... تخطو باتجاه خشبة المسرح تتسلم الهدية وتعود .

امرأة في الصف الخلفي لام محمد : « يا خالتي ... الم نلتق قبل سنوات على الجسر .. »

ام محمد تنظر في وجهها : نعم ... اظننا التقينا ...

تشير الى طفل في الرابعة من عمره يقف امامها : هذا هو ابنك ... الرضيع !!

- لم يعد رضيعا اليوم ...

ام محمد : كلما تذكرت ما فعله هذا الصبي بهم في ذلك اليوم ابتسمت بيني وبين نفسي حتى ان ذلك حدث اكثر من مرة وسط الناس ، فكانوا يحدقون بي ... ثم يقولون ما الذي يجعلك تبسمين يا ام محمد ... فأقول ... انها قصة غريبة ... فيطلبون ان اسردها عليهم ... وهكذا كل مرة .

المرأة : ولكن ما الذي حدث لك يومها يا ام محمد ... لقد رأيناهم يحاصرونك ...

ام محمد : لا تخافي ... ام محمد لا خوف عليها ... قال لي الضابط ...  
سنبعد كل عائلتك من هنا ... فضحكت :

قال لي : تضحكين

قلت : لا يستطيع احد ان يبعد اولادي ... وزلمتي ايضاً .

وعندما عرف ان كل اولادي شهداء... قال سنبعدك انت ... وابقاني  
داخل سور الاسلاك حتى المساء ثم قال هيا اذهبي ... فتوجهت غربا ولم  
يكن قد اشار علي الى اين اذهب ... ولكن لم اكن على استعداد ان اذهب  
الا غرباً ... فلا مكان لنا الا هنا .

عريفة الحفل : سنكرم الآن امنا جميعاً ... الام التي قدمت أكثر من  
ثلاثة شهداء ...

تنهض ام محمد بثقة ... تراها العريفة ... فينهمر الدمع من عينيها .

تزغرد النساء في القاعة ...

يضطرب الزائر الاجنبي القابع في الصف الاول ..

نباح « رامبو » يأتي شرساً من الخارج .

تصعد ام محمد الدرجات .

صوت من خلف الستارة :

في نلس زئي الشجر

وفيهم زهر حنون

واحد بيعطي ثمر

واحد ظلال وغصون

ويسقط ورق ويطيّر

مع ريخ في كانون

لكن شهيد البلد

بيظل حتى الابد

فوق الجبل زيتون

تهبط ام محمد الدرجات ... لا شيء سوى ايقاع خطواتها على

الارض ... ايقاع يحتل التفاصيل ... ويمحو نباح رامبو في الخارج ...  
واصوات جنازير الدبابات المتقدمة نحوها ... ايقاع يرتفع ليختلط مع  
ايقاعات اغنية «يا ام الشهيد وزغردي... كل الشباب ولادك» .

عريفة الحل تستعيد روحها من الدمعة : الآن سنقدم هدايا رمزية  
لامهات المعتقلين والمعتقلات .

نساء القاعة يقفن كلهن .

وجوم تام .

عريفة الحفل ترتبك ... يأتي الصوت من خلف الستارة ثانية ... فتهتدي  
عريفة الحفل للحل ... فتبدأ بالغناء معه :

يا دار لا تتعبي  
ظلي فرخ وازهاز  
وفي الليل قومي اطلعي  
على روس هالاشجاز  
ولشروق مدي البصر  
وقولي لكل الزغار  
الخيال الاصيله وحدها  
بتكمل المشوار



## سِمْفُونِيَّةُ الحُرُودِ يَقْطَعُهَا عَوَاءُ الذَّبِّ

رام الله توشك ان تأوي .. فبعد ساعة ونصف الساعة .. تلملم المدينة اطرافها .. وتظل الحراب تجوبها .. رجل في الستين يتذكر جيداً انهم قالوا له : بيت ابنك يحاذي سجن رام الله من الجهة الشمالية .

يسأل : ولكن اين السجن ؟ ويحاول ان يرد السؤال .. الا انه يكون قد افلت . ودون تردد تشير الطالبة التي التقطت كلماته بسرعة :

ها هو .. وكانت يدها مصوبة الى جندي بقبعة حمراء بصحبة كلب من فصيلة متميزة . وتمضي الطالبة دون ان تلتفت .

\*\*\*

صوت المغني داخل السجن .. وفي الخارج ظلام كامل .. سوى ضوء عين الكشاف التي تتصفح الاسلاك الشائكة للسجن .. وظل العسكري في برج المراقبة المراجعة للبيوت . والمغني يغني :

لن اقول :

الرصاص الذي فاجأ الحزن فاجاني

كنتُ امشي الى جسدي في الحرائق

او في الزحام

ارَدَ الذئبُ عن اللحمِ

احرسُ

في طلعةِ السَّروِ يومَ الخَمَامِ

لن اقول :

الرصاصُ الذي فلجاً الصمتَ فاجاني

كنتُ أنشدُ

والصبحُ يفتحُ نافذةَ لجراحي ويهمسُ :

يا ايها الداخلُ الآن قلبي :

عليك السلامُ

عليك السلام ..

لن اقول ..

\*\*\*

صباح . سجناء .. « البحري » يدندن : « يا ايها الداخل الآن قلبي ..  
عليك السلام » فتبدو الاغنية وكأنها استمرت طوال الليل .

رجل في الخمسين .. سجين .. يحاذي البحري يسأله : ايجدي  
الغناء ؟

فقال : قليلاً ..

وغنى كثيراً ..

البحري يلقي نظرة باتجاه بيت يجري بناؤه بجوار السجن ..

ملاحظة : حين ترى السجن لأول مرة تدرك تماماً انه زاحم البيوت  
طويلاً حتى استطاع دفع بعضها بعيداً والانتشار هنا .. كل الاشياء متألفة في  
الحارة .. شجرة الصنوبر ، حدائق المنازل الصغيرة ، داليات العنب ،  
شجرة التين .. كل شيء ، سمفونية كاملة من الهدوء .. يقطعها عواء  
ذئب .

البحري لرجل في الخمسين : بعد ثلاثة اشهر سأخرج من هنا ..  
ولكنني لن ابتعد كثيراً عنكم .. سأغني لكم في شرفة ذلك البيت .

الرجل : اي بيت ؟

البحري : ذلك البيت المحاذي للاسلاك الشائكة .

الرجل : هل تحدثت مع اصحابه .

البحري : لا .

الرجل : فكيف ستسكنه .

البحري : لانني متأكد من ذلك .. ستبقى تلك الشرفة لي .

\*\*\*

يوم آخر .. حركة العمال في البيت المجاور تملأ القلب حياة ..  
السجناء في ساحة السجن .. ينظفونها .

البحري ينادي : يا خالتي ..

امراة بقرب البيت ترد : نعم يا ابني .

البحري : اريد ان استأجر تلك الشقة التي تطل شرفتها علينا هنا .

المرأة : هي لك يا ابني .. هل انت متزوج ؟؟

البحري : سأخرج واتزوج .

المرأة : متى يكون ذلك ؟

البحري : بعد ثلاثة اشهر .

المرأة : مبروك سلفا .

يتدخل الجندي لقطع الحوار .

البحري لرجل في الخمسين بجانبه : قلت لك انني سأغني لك من هناك .. كل مساء .

الرجل : ولكن هل تستطيع ان تجعل غناءك مؤبداً .. مثل الحكم الصادر عليّ .

البحري : اعرف انني سأغني كثيراً .

الرجل : هل ستغني تلك الاغنية التي تقول :

ليا وليا يا ابنيه  
ضاق السجن عليّ  
سدوا دروب بلادي  
من الميه للميه ..  
وسعوا ها الزنزانه  
يافا بصدري سهرانه  
وزيتونتنا العطشانه  
بدها تشرب حرية

البحري : سأغني من هناك .. ولكن علي ان اسمعك تردد الكلمات بعدي، بهذا اعرف انك على خير ما يرام .

رجل في الخمسين : اتفقنا .

البحري : اتفقنا .

\*\*\*

البحري ينهض من نومه ... صباح صاف ... خارج مدى القيد ...  
وخارج مدى البنادق ، صباح شاسع لا تطاله زنزانه ... ولا يبلغه ليل ...  
يغادر السرير ... يشرع النافذة ، موقع الشمس خلف شجرة الصنوبر يجلل  
الشجرة بهالة من النور ، وفي مقابل النافذة تماماً اسلاك شائكة ... عربات  
جنود ... سجون بنوافذ سرية ...

البحري : صباح الخير

السجناء يردون معاً : صباح الخير !!

فيأتي صوتهم مزيجاً من توحّد الضوء بامتداده نحو قلب الحياة .

هاديء كل شيء هنا هاديء

مثل سكينه الذبح

مثل خطي في السراب

مثل دندنة العود

ما بين انشودتين وصمت السحاب

هاديء كل شيء هنا ... هاديء :

نظرة الفتيات

عبور الضحى للسريز

خفقة لجناح يطير

حجر في يد الطفل

نصل سببرق بعد قليل

هاديء كل شيء هنا وجميل

□ دورية . . . .

يقظة في الخطي

يقظة في السلاح

يقظة في الاصابع

فوق الرناد

يقظة الرمح حين يشق الجراح

يقظة في الدقائق

فيما مضى ... وسياتي ... وبينهما

يقظة دامية

يقظة كالنباح !!

مساء ثقيل يزحف باتجاه البيوت ، يغمرها بأمواجه الرمادية ، حركة  
غريبة ... وهي دوماً غريبة تحتل الهدوء العميق وتتسلل عبر الضباب الذي  
ينتشر على رام الله ...

رام الله الطفلة ..

والسيده .....

الائق الصاعد من حجرات الفلاحين

سفوح النعمة وصعود الكلمات الى قمم سرية .

رام الله يدُ طيبة

تلويحة غصن اخضر

نارٌ موقدة ...

عاشقة تغزل موعدها من يومين

فتى قمحي الوجه ...

حصان الاسطورة ..

سارية تخفق منذ تفتح قمم الكون ...

وحكاية حب شعبية ..

البحري يغني .. الشرفة تستعيد اجنحتها كطائر سيبدأ يومه بعد

شعاع .

منذ ثلاثة الاف سنة

اعرفُ شمساً واحدة

اعرفُ لمستها فوق جبينني عند الفجر ...

واعرفُ تلويحة حنطتها

منذ ثلاثة الاف سنة

وأنا اسمعُ في قلبي الطائر

في طرقات دمي وغنائي خطوتها

منذ ثلاثة الاف سنة

ظللتُ حاضرةً في

لكنني انهض هذي الليلة  
كي استحضّر صورتها ؟؟؟

خلف جدران السجن ايقاع يتصاعد مع الاغنية والسجناء يطرقون  
الاسرة بأيديهم .



## مخيم الجلزون: عصفور يعلو بأغنيته

مخيم الجلزون ... مساحة جاهزة دائماً للعرس او للمظاهرة ...  
ظاهر ... ومختف ... لا يستطيع الجندي ان يدرك سره ، يبتكر طرقاً جديدة  
لوضوح غامض ... لا تحيط به عين البندقية ... ويبدع نوافذ دائماً لغموض  
واضح يهز قامات الجنرالات .

ماكر كسنبلة تراوغ هبة ربح ، وطيب كعصفور يعلو بأغنية .  
والجنود ذرو القبعات الحمراء ... ماهرون في تفجير الحقد .  
خطوتهم ... البندقية المتحفزة ، نظرات اعينهم ...

دائماً انت مشروع سهل لقتيل لا يكلف كثيراً .. « طخ » رصاصة ...  
لا ... بل رصاصات . فالجندي الاسرائيلي حين يوجه مدفعه الى صدر طفل لا  
يطلق رصاصة واحدة ابداً . . . دائماً يطلق صلية كاملة ... كأنه يخشى ان  
يترك للصغير قبضة هواء او حياة يستطيع من خلالها ، قبل استشهاده ان  
يمطر الجندي بوابل من القذائف او الحجارة .. او نظرات التحدي ... لا  
فرق ..

لا احد يموت هنا برصاصة واحدة ... حتى بعد تطوير جهاز قمع

المظاهرات ... والدولة كلها ذلك الجهاز. وإدخال القناصة الى ساحة  
المعارك ... رغم هذا ... يسقط الشهيد بأكثر من رصاصة ...

في الليل ... يستطيع اطفال مخيم الجلزون ان يلعبوا ... لان المخيم  
يكون لهم في هذه الساعات ، فالجنود لا يجرؤون على اجتياز عتبة براءته  
الشرسة .

\*\*\*

شلومو : لا احب الليل هنا ..... ان السكين تتربص ... ولا تستطيع ان  
تعرف من اين ستخرج عليك ...

جندي : انا احب النهار هنا ... عندما اذكر ان اطفال المخيم  
صاحون ... « صمت » هل تعتقد ان اطفال الحجارة يختلفون عن اطفال الار  
بي جي ؟؟

شلومو : اظن ذلك .

الآخر : ولكنني اقول انه لا توجد مسافة فاصلة بين القذيفة وبين  
الحجر ، ما دامت مساحة القلق القائمة في داخلك جاهزة دائماً لاطلاق النار  
بجنون ... « صمت » اتعرف ان المسألة نسبية « صمت » هناك تكون في  
داخل الدبابة ، ومن الطبيعي ان تكون هناك قذيفة ... وهنا ... تكون  
عاريا ... ويكون الحجر ...

شلومو : ابتعدنا قليلاً !!

الآخر : ربما .

شلومو : ولكنني لا احب الليل هنا

الآخر : .. وانا لا احب النهار .

\*\*\*

خيمة مراقبة على مشارف مخيم الجلزون ... جنديان ... وظهيرة

صافية لم تُعد اصلاً للعسكر لشبهها المطلق بأشجار الزيتون التي تحيط  
المخيم ..

خيمة ... وعلم اسرائيلي يرفرف فوقها اللون الازرق في العلم ...  
محاولة سوداء لتقليد بحرية السماء فوق المخيم ...

حجارة تنهال على الخيمة من اسفل الشارع ... الجنديان يمتشقان  
سلاحهما وينطلقان باتجاه مصدرها ... ينحدران ... يقفزان الهوة الصخرية  
الصغيرة في سفح الجبل ، ينحدران الى الجانب الاخر منه باتجاه  
المخيم ... يبحثان خلف كل الاشياء ... لا يوجد هنا بشر ...

شلومو : وحدها الاشجار في هذه الارض ... هل تكون الاشجار ؟؟

الاخر : لا ادري ... ربما ... لا ... لا يمكن

شلومو : لنعد

الاخر : لنعد

يتسلقان السفح ثم الهوة من طريق اقل وعورة ... ويندسان في داخل  
خيمتهما .

شلومو : مهمة غريبة تلك التي نقوم بها ... نجلس ونراقب

الاخر : انراقب العربات التي تعبر الشارع باتجاه نابلس ، انراقب  
الذاهبة الى رام الله ... انراقب الطريقة التي تنمو بها زيتونة على التل ...  
انراقب مؤامرة تخريبية تحاك خلف الجدران ... انراقب رجلاً وامرأة في  
حالة عناق ... سيخرجان علينا بعد تسعة اشهر بشيطان اخر ... انراقب  
اغنية تمهد الطريق للغضب ... ام نراقب صفاراً يدشنون اغنية المغني .

شلومو : اذكر الايام التي عملت فيها محققا ... كانت الضحية تأتي  
اليّ جاهزة ... وما عليّ سوى التهام لحمها كيفما اريد ...

يتذكر السبب الذي دفعه الى العودة للشوارع ... فيريد وجهه تنقبض  
قسماته .

\*\*\*

العربات تمر ... سيل لا يتوقف ... سيارات عسكرية ... وبدخلها  
مسؤول المخابرات في المنطقة ... يلوحُ بيده للجنديين .. يردان على تحيته  
مبتسمين ... فجأة يتفجر صوت فرامل العربة العسكرية بجنون ...  
الجنديان يقفزان من مكانهما ليستطلعا الامر ... السيارة العسكرية تعود الى  
الخلف مبعثرةً سيل السيارات القادمة والذاهبة على الطريق ... تتوقف ...  
يصعد مسؤول المخابرات باللغات اليهما ... الجنديان يرتبكان ... لا  
يعرفان ما الذي يحدث ... الضابط يجتازهما ثم يندفع باتجاه الخيمة. يقفز  
باتجاه ناصيتها ويقتلع العلم الفلسطيني المثبت فوقها .

- ما هذا !!! « يصرخ »

لا احد يجيب ... الجنديان غائبان عن الوعي تماماً ... مفاجأة

- ما هذا ؟؟؟

لا احد يجيب .

\*\*\*

المشهد من جديد : اطفال يقذفون الحجارة باتجاه الخيمة ... جنديان  
يهبطان التل خلفهم ...

في الجانب الاخر ... خلف الخيمة ... صغيран يندفعان باتجاه  
الخيمة ... احدهما ذلك الرضيع الذي كُبر ... ينزلان العلم الاسرائيلي  
ويضعان العلم الفلسطيني وينسحبان بهدوء .

الجنديان يعودان ... يدخلان الخيمة دون ان يريا العلم ...

نصف ساعة مرت على الحادثة ... لا بد ان المسافرين على الخط العام  
قد ضحكوا كثيراً ... وهم يرون الجنديين غارقين في احاديثهما في ظل  
خيمة يظللها العلم الفلسطيني ... لا بد ان الخبر طار الان واصبح في كل  
الاراضي المحتلة لا بد ... !!!

\*\*\*

سيارة عسكرية كبيرة ... جنود يقتلعون الخيمة ... ويلقون بها في  
صندوق السيارة ... الجنديان في الصندوق الخلفي ... السيارة تنطلق .  
الجندي : قلت لك انا لا احب النهار هنا .  
شلومو : وانا قلت لك : انا لا احب الليل .



## البحري الصغير يحفظ نشيد الخيول

يجيئون من كل صوب يجيئون

ونحن سنبقى

شارعنا توأم البحر

شباكنا

وعيون صغيراتنا

وهمو ...

يا صديقة من أول الأمر غرقى

يجيئون من كل صوب ...

ليل صلد النجوم تغرس محارثها في عنتمه .. والمسار صعب .. بقايا  
نبات الربيع على اطراف الوقت يابسة .. المدينة خلت من خطوات  
سكانها .. وعاد الصمت ليشغل عتبات المحلات التجارية وسوق  
الخضار .. الطريق اليومي الذي تسلكه طالبات المدارس ، وحتى ذلك  
الصمت المعتاد الذي غالبا ما يشاهد على عتبة الصيدلية كان أكثر صمتا ..

صمت كامل ...

والجندي في برج المراقبة يتصفح الجهات كلها مستعيناً بعينه الثالثة  
والرابعة :

عين البندقية .

وعين الكشف .

صمت كامل .

يتحرك الصمت كرجل يحرق في الجهات ثم يبدأ المسير باتجاه أحد  
اليوت ، تصبح خطواته مسموعة بشكل اكبر .

يجتاز العتبة والعملة ...

ينفتح الباب امامه فيسفر عن مشهد احتفالي كامل .  
الجنون وحده يصدق ذلك . ولكنه الجنون الذي يصل الى اقصاه واذا به  
يصل الى العقل المطلق ..

المكان بيت البحري .

عشرون رجلاً وامراًة .. وسبعة أطفال .. فرح فذ .. كأنهم اقتطعوا من  
عرس اسطوري .. او صهيل مهر جامع .. الستائر مسدلة .. حبات تين  
على الطاولة يسبحن القلب الى ظل الشجرة التي قطفن منها .. الى  
امتداد الارض الخارج من ظلها نحو القمم الذاهبة في الزيتون .. ونسور  
الاعالي ..

البحري «للفغار» : حفظتم الاغنية الآن ؟ .. نعيدها معاً ؟ الاطفال  
«بفرح» نعم .. هي .. هي «بصفقون» .

البحري :

خيول .. خيول .. خيول .. خيول ..  
على التل تصهل عند الصباح  
وتعبر كالغجر هذي السهول  
وتعدو هنالك مثل الرياح

خيول .. خيول .. خيول .. خيول ..

«الصغار يرددون المقطع»

البحري :

خيولُ تحبُّ الفضاءَ الرحيبَ  
وتعشقُ فرسانها الأقوياءَ  
وغرَّتْها مثلُ حقلٍ خصيبٍ  
وتاتيه شمسُ الضحى بالضياء

الصغار :

خيول .. خيول .. خيول .. خيول ..

البحري :

خيولُ وفيها الحصانُ الأصيلُ  
وفيها حكايا الزمانِ الجميلُ  
ويشبهها النصرُ حينَ يجيءُ  
ويملاً ساحاتنا بالصهيلُ .

الصغار :

خيولُ خيولُ خيولُ خيولُ

البحري :

خيولُ وقال لنا جدُّنا  
نحبُّ الخيولَ كأولادنا  
ومنذُ زمانٍ قديمٍ قديمٍ  
نُسمي الخيولَ باسمائنا .

الصغار :

خيولُ خيولُ .. خيولُ خيولُ

البحري :

خيولٌ ورائعةٌ كالنسيم  
ومزهوةٌ لا تحبُّ القيود  
وتعدو الى الشمس عند المغيب  
وتسهل .. يشرق فجرٌ جديد  
الصغار :

خيولٌ .. خيولٌ .. خيولٌ ... خيول  
جميع من في الغرفة :

خيولٌ .. خيولٌ .. خيول  
ثناء الغناء يطل علينا وجه البحري الصغير يغني بفرح مع الاطفال ..  
وقد امتلأت عيناه ببهجة مشاغبة .  
عند انتهاء الاغنية يتقافز الاطفال .. يصفقون بايديهم .. في حين  
يتوقف كشاف برج المراقبة على نافذة الغرفة .. فتشتعل الستارة .. كأن  
ذلك اشبه بانذار اخير .

## نابلس والوقت شمس

نابلس.. ابواب السوق القديم مقفلة.. عيال ينحني ليضم المدينة برفق،  
الوقت شمس .. خطوات تعبر الشوارع باتجاهات متقاطعة .. تلقي التحية  
وتمضي .. الجنود من زمن هنا يقفون .. كأنهم أصبحوا سطوح المنازل بعد  
ان طال وقوفهم عليها .. دوريات منقولة .. دوريات راجلة .

الابلاغ عن الاضراب لم يكن يسيراً هذه المرة .. المحلات التي  
استجابت ليست كثيرة .. والجنود يضعون علامة «x» «اكس» على كل محل  
تجاري مغلق بانتظار ما يتمخض عن الحاكم العسكري من عقوبات .

الذين فتحوا ابوابهم لم يستطيعوا اغلاقها ، فالاغلاق في هذه اللحظات  
تحد مباشر ، والجنود فرحون .. ان بإمكانهم الآن ان يجعلوا اصحاب  
المحلات المضربة مثلاً لا ينسى .

هكذا اجاب الحاكم العسكري عبر جهاز اللاسلكي احدى الدوريات ..  
واشار عليها بوضع علامة «x» على كل محل مغلق . فامتثل شنومو للامر .

\*\*\*

تاجران يهتمان لبعضهما :

الاول : ما الذي نفعله الان .. والوضع لا يسمع بشيء؟

الثاني : هم الآن « وأشار الى الجنود » مستعدون لنسف اي محل يغلق امام اعينهم .. لا نملك الا ان ننتظر .

الاول : ولكن .. هناك خطوة واحدة يمكن ان نقوم بها ..

الثاني : ما هي ؟

في هذه اللحظة يتقدم رجل منهما .

الرجل : اريد سُكراً .

الاول : ولكننا مضربون .

الرجل : مضربون !

الثاني : «وقد فهمها» : نعم مضربون .

الرجل ينسحب بعيداً .

الاول : اترى .. ان الحل في الانبيغ شيئاً .. وبهذا نكون قمنا باضعف الايمان .

\*\*\*

مجموعة من الرجال في غرفة ضوء خافت ..

البحري «لهم» : علينا ان نتدارك خطانا .. عندما لم نستطع ان نعلن عن الاضراب بشكل افضل .. غدا سيعاقبون اصحاب المتاجر التي اضربت .. والحل في ايدينا الان .

اشارة «x» تبدأ الان باحتلال باب كل محل لا توجد عليه اشارة مثلها ، الاحمر ينتشر بفوضى احيانا .. ولكنه يؤدي الغرض منه .

وجه البحري يلوح كومضة خاطفة وهو يضع الاشارات على الابواب .

الاجساد الفتية تعود الان الى هدوء الزوايا الكثيف .

نابلس في الليل

الهدوء يغمر الشوارع ويتسلل عميقا الى ادق الزوايا الصغيرة لقناع  
المدينة .. هنا يمكنك ان تلمسه .. هدوء مكثف ، خطوات تخرج من العتمة  
لتشقى اطمئنانه ، تنتشر في اتجاهات متعددة .. عبر الشوارع ..

المهمة سهلة .. وصعبة .. كل شيء يجب ان يتم بصورة دقيقة ..  
اجساد فتية شجاعة تنطلق في وقت واحد .. في لحظة واحدة وعبر اكثر من  
شارع .. الظهور للجدران ..

\*\*\*



## شَلْمُوْشِر سِلَاحَه وَرَ مَبْوَائِيَا به

الحاكم العسكري في سريره .. «هو نفسه مسؤول المخابرات» ..  
يتقلب ، ينهض .. ليلة بطيئة .. ولكن النهار مردون مشاكل .. هذا يجد ذاته  
انجاز كان يجب ان يسلمني لنوم هادئ .  
يخرج الى الشرفة .. ينظر في اتجاه نابلس .  
لا شيء سوى بعض الاضواء .

«لنفسه مواصلا» : مدينة غامضة في الليل .. عشرون عاما مرت ..  
وكلما حاولنا فهمها ازدادت غموضا ..

يستدير ليدخل .. «ثم يواصل» مدينة واضحة في النهار .. ومبسوطة  
امام العين بلا اسرار .. بسيطة .. ولكن من فينا يستطيع ان يعرف  
الشخص الذي سينقض عليه خاطفا كالبرق .. بسكين او قنبلة .. من ؟!

\*\*\*

الحاكم العسكري في الشوارع يسير .. ويحرق في الوجوه .. يتوقف  
عند بعضها مسمرا عينيه في ملامحها .. يتلفت خلفه متابعا وجه شاب

اختفى .. يغطيه ظهره الان . »

يعود لسيره الطبيعي .. يتكرر المشهد : طالبة مدرسة وقتاة تعبر المدينة كسهم واثق .

الجنود حوله .. من بينهم شلومو .. ورامبو .. شلومو مشهرا سلاحه ورامبو انيايه .. وبين لحظة واخرى يزمجر محاولا الافلات باتجاه العابرين الذين يبتعدون عنه .

الحاكم العسكري «مسؤول المخابرات» يتوقف عند بائعة التين «ام محمد» .. فيتوقف الجنود ورامبو .. ويتحلقون حوله ، شلومو يبدو الان اكثر يقظة بعد حادثة الخيمة .. وهو الاكثر تحفظا بين الجنود .

ام محمد «ببساطة» : تين طيب يا خواجا .  
الحاكم العسكري ينحني ليلتقط حبة ..  
ام محمد «تواصل» : وحلو مثل بلادنا .

الحاكم العسكري يتوقف في منتصف المسافة حين يسمع كلمة «بلادنا» وتكون اصابعه قد لامست حبة تين .

يدوي انفجار .. سبق سطوع المشهد .. يتفقد جسده .. هو الان مغطى بالدم .

\*\*\*

سيارة جيب تحترق .. والحاكم العسكري يحاول الخروج منها .. يدفع السائق الممزق جانبا ويتدحرج .

يصرخ : ولكن لا احد هنا .. وحده الشارع مقفر .. والقنبلة سقطت في الزاوية اليسرى الاخيرة لعربة الجيب .

السيارة تشتعل .. وهو الان يزحف بعيدا عنها تحت ضوء حزمة النار العالية .

\*\*\*

على التل .  
شاب ملثم : لم اكن اعتقد انها تشتعل بهذه السرعة .  
البحري : هذا لانها معبأة بالحققد .  
يبتعدان .

\*\*\*

ولكن الحاكم العسكري الذي لم يكن حالما في تلك الليلة ظل اربع  
ساعات ينزف قبل ان يسمع صوت سيارة قادمة . . وبتردد يخرج اليها .  
عند ذلك يدوي صوت الفرامل في غبش الفجر الساكن ويندفع جنود .

\*\*\*

الحاكم العسكري . . امام بائعة التين . . بهدوء ميت يقلب سلتها  
بقدمه فتتناثر حبات التين لائذة بها .

ام محمد «بهدوء اكثر صرامة.. وشبه مازحة» : خسارة على التينات .  
لكن مش مهم يا خواجا .. لسه الشجرة اللي قطعناهن عنها عليها كثير .

كان الناس قد تجمعوا . . وهنا بدأت القبضات تتكتل على شكل  
غضب . . الجنود امسكوا اسلحتهم بصورة تتيح لهم اطلاق النار بسهولة . .  
ورامبو قفز على قائمته الخلفيتين واشرع انيابه بوحشية .

الحاكم العسكري يدير ظهره ويمضي . . والجنود خلفه يتصفحون  
حركات الناس بأعين بنادقهم . . الى ان يختفوا في شارع آخر .

\*\*\*

الحاكم العسكري داخلا باتجاه السرير .  
«لنفسه»: ليلة قاسية . . ولكن الم يكن هذا النهار هادئاً وجاء على افضل مما  
تصورنا؟!

\*\*\*









اغاني البعيد  
هدوء الشهيد  
صعود النشيد الى ارض روجي  
خطى الضوء اسمعها ..

\*\*\*

المحقق : هذه هي المرة السادسة التي نستدعيك فيها الى هنا  
ونحذرك .

البحري : ...

المحقق : ها هو العود اذن .. آه .. العود آلة جميلة اظنها من اصل  
يهودي !!

البحري : ...

المحقق : هلاً عزفت قليلاً؟

البحري : ...

المحقق : اتعرف .. تحيرني الآلات الموسيقية .. كل واحدة لها  
صوتها الخاص .. انحناءاتها .. وهي رقيقة دائماً .. ناعمة .. وخطرة ..  
الا تشبه النساء؟!

البحري : ...

المحقق : كنت اتمنى ان تعزف لي شيئاً .. ولكن لا بأس .. هل  
تسمح لي بالعود قليلاً .

البحري : ...

المحقق يتناوله بنفسه : ليس ثقيلًا كما كنت اتصور . من الممكن ان  
اعزف قليلاً .. اليس كذلك ؟!

البحري : ...

المحقق يمسك بالريشة ، يحرك أصابعه كيفما اتفق .. تخرج النغمات  
في فوضى مزعجة ويتبعها قائلا: دو.. ري.. مي.. فا.. صول.. لا.. سي.. لا  
اظن ان هذا العود جيد بما فيه الكفاية : اترى ان كل محاولاتي للعزف عليه  
بصورة جيدة لا تجدي. «صمت» ولكن ولكن .. يحيرني كيف تخرج  
النغمات من الداخل .. هل تخرج من الداخل فعلا ام من الاوتار . «ينقر  
الاوتار .. يضع اذنه على خشب العود» اتعرف : يبدو ان النغمات تنام هناك  
في الداخل وعندما تدق ابوابها - والابواب هنا الاوتار- فان النغمة التي  
تلمس الريشة بابها تجيب من الداخل .. وتخرج .. اليس كذلك؟!  
البحري : ...

المحقق : هذا يقودني الى حقيقة اخرى .. وهي ان النغمات نائمة في  
الداخل .

«ينظر داخل العود .. يلتفت الى البحري» :  
عجيب انني لا استطيع رؤيتها .. وهي ايضا تأبى الاستجابة لنداء  
اصابعي .. هل تعتقد ان ثمة عصيانا نغميا في الداخل ؟ ... «يكشف  
طرافة جملته» .

: إيه «عصيان نغمي» «يضحك» اصطلاح جميل اليس كذلك؟!!

«مواصلا»: ولكن لا تستطيع النغمات ان تبقى طويلا في الداخل .. من  
الممكن ان اقتحم بابها واخرجها كلها .. ثم .. اصلبها هنا في مواجهة  
الحائط رافعة يديها .. تصوّر الـ «مي» واقفة هنا ورافعة يديها والـ «ري»  
ترتجف بسبب التعب والصقيع الذي يملأ ساحة «المقبر» في آخر الليل ..  
أوه .. ليس هذا فقط ، ان ما ينعشني اكثر .. تصويري لاصطكاك اسنان  
«الدو» من البرد .. ستصبح دؤدات « دو ... دو.. دو دو » .

«ينفجر ضاحكا»

منظر عجيب اليس كذلك؟

البحري : ...

المحقق: ولكنني ممتعض جدا من الـ «لا». اتعرف .. انها لا تعجبني لذلك من الممكن ان اطلق عليها النار في اية لحظة . او ادخل افعى الى صدرها واقول ان الـ «لا» ماتت قضاء وقدرًا .. ثم القي بها في البر .. وهذا يمكن ان يكون منطقيًا .. فانت تعرف ان الـ «لا» تحب الانطلاق .. فهي بعد ان خرجت من عندنا - من هنا - صعدت الى الجبال وكان ما كان .. ومن يستطيع ان يثبت اننا لا نقول الصدق ؟!

البحري : ...

المحقق : لكنني في البداية يجب علي ان اخرج النغمات واحدة واحدة هنا .. ولو بالقوة .. لقد حاولت ان ادعوها برقعة اصابعي .. لكنها لم تستجب .. اسمع .. برقعة اصابعي «يضحك»

«يتناول سكينًا. يجز الاوتار .. تتفرقع .. يدخل يده في العود»

: آه هاهي الـ «ري» .. امسكتها لقد افلتت .. هذه اللعينة .

«يحرك يده داخل العود .. كمن يحاول امساك عصفور داخل قفص» .

: انها تفرُّ ثانية .. ولكن .. سأتركها حتى تقعب .. سأمسك الـ «دو». انني اسمع صوتها في الداخل وهي تركض مبتعدة داخل العود .. ولكنها لا تستجيب

«يحاول ثانية»

: عجيب. ان اخلاق الـ «لا» تسلّت الى بقية النغمات ، هذا يجعل الامر صعباً عليّ اكثر .. اترى .. انني لا احب القسوة ولكنني اجبرتُ على اتباعها

«يقلب العود .. يهزه»

: اعرف ان النغمات ستساقط الان « يهز العود ثانية .. وثالثة ورابعة .. »

« ينظر الى سطح الطاولة »

: لا شيء !! .. إسمع .. اذا نزلت اي منها فقل لي بسرعة .

البحري : ....

« يعود لهنز العود ثانية » .

: قلت لك ان اخلاقك « لا » تسلت الى باقي النغمات ، انا مضطر

الان الى اخراجها بالقوة .

« يرفع يده الممسكة بالعود .. يهوي به على الارض .. انفجار » .

\* \* \*

بيت يتناثر .. زهور حمراء طائرة في الهواء .. صغار تحملهم  
قوة الانفجار الى الاعلى بحيث لا يعودون الى السقوط ثانية على الارض .  
كتب تتناثر .. اشجار ، موسيقى .. عصافير .. بعضها يسقط مضرجا  
بالدم .. اجنحة وريش ناعم .. نباح كلب يختم المشهد ويتقل الى  
المسافة الزمنية التالية له .. « رامبو » .

صوت من الخارج « جماعي »

خطى الضوء اسمعها في دمي

ونمو الرياحين فوق سطوح

اغاني البعيد

هدوء الشهيد

صعود النشيد الى ارض روعي

خطى الضوء اسمعها في دمي

يختفي الصوت تدريجياً ..

المحقق : لدي قرار ابغلك اياه .. واجذرك ايضاً : تمنع من مغادرة

المدينة لمدة ستة اشهر .. تحضر مرتين .. صباحا ومساء لاثبات وجودك

هنا .. كما .. تمنع من الغناء في اي احتفال داخل المدينة . ان اي خرق  
لهذا القرار سيعيدك للسجن ثانية .

البحري : ...

والصوت .. جماعيا .. يعبر الاسلاك الشائكة .. جهامة التحقيق ..  
نوافذ الحاكم العسكري المحصنة بالموت .. ويتصاعد .. ليتحول تدريجيا  
الى نشيد عال .. يتفرض المحقق .. يركض باتجاه الباب يفتحه .. وهو  
يتوقع انفجار المظاهرة في وجه هدأة قراراته ...

الناس يعبرون الشوارع .. الايقاع اليومي المعتاد .. ولكن الصوت  
يجيء .. عاليا .. يتصفح المحقق وجوههم .. قساماتهم .. حركة  
شفاههم .. ولكن الاغنية الطالعة من بين اضلعهم تواصل .. وتواصل  
الغناء ..

خطى الضوء اسمعها في دمي ..  
«يأس كامل يفترش وجه المحقق»

## شلومو يُطلق النار على الوهم

شلومو يتقلب في سريره هذه الليلة .. الضوء الجانبي الساقط على وجهه من الزاوية اليمنى للسريـر ، يغطي ملامحه بصفرة غريبة .. حتى أن من يراه في هذه اللحظة سيرتعد .. لأنه وجد نفسه وجها لوجه مع رجل مرت أيام طويلة على موته .. ويشاطر الاحياء امتدادهم في المكان .

الا ان حركة شلومو المتوترة تعيده الى ذلك النوع من الحياة الذي يشبه «النزاع» .

يتقلب شلومو ثانية .. فيصبح الضوء خلفه .. ويعم الظلام ، فيبدو وجهه قطعة ساقطة من عباءة الكابوس .

\*\*\*

في زاوية ما .. كان يراه متربصا به .. يلاحقه .. حيثما وقعت عيناه شاهد ذلك الوجه .. عيون تلمع .. ويدان سريتان .. كأن ما حدث ينتمي الان الى هوة ما وراء الزمن ..

وعندما همس شلومو لنفسه ان ما يراه مجرد اوهام ليس أكثر .. وان

البندقية وذلك الاصبع المشدود على الزناد بأعينه الرصاصية المشحونة بالبارود هما الحقيقة الوحيدة في هذا الكون .. عاد ليكرر ثانية : اوهام .. انها مجرد اوهام تضخمها نشرات الاخبار والجنود العائدون من الشمال ومدن الضفة والقطاع .

في تلك اللحظة التي اطمأن فيها لعين البندقية والاصبع المشدود على الزناد .. ومطلق وهمه الخاص . انشق منعطف ما .. في مدينة ما .. وسطع نصل الخنجر تحت ضوء غمر الثواني المميتة .. ودوت صرخة شلومو .

: ان كل الوجوه في ذلك الشارع اصبحت لها ملامح واحدة .. وتشابهت المدن ، قال رأيت «منارة رام الله» في باب العمود ودوار نابلس ايضاً .. ورأيت طريق الالام في معسكر الشاطئ ورأيت سوق جباليا في طولكرم .. وحده النصل كان يبرق وتتقاطع فيه الشوارع ووجوه الناس .. وفجأة رأيتهم كلهم يغوصون في لحمي ..

ولكن هذا المشهد لم يصل الى وضوحه الا بعد ايام وليال طويلة سُكبت قطرة قطرة في بحر العرق وفوق عرش الهذيان .

في البداية سأل .

- اين أنا؟

قالوا : في المستشفى

قال : واين كنت؟

قالوا : لسنا ندري .. لأن سائق سيارة الاسعاف التي احضرتك الى هنا .. لم يدر من اين اتى .. كنت تهذي .. وكان يهذي معك .

قال : لقد تأخرت مرة ثانية

قالوا : كيف؟

قال : كان يجب علي ان اطلق النار على الوهم وأمحو الشارع .

\*\*\*

النصل يقترب .. يفوخ في الجنب الايمن لشلومو .. شلومو يصرخ ..

\*\*\*

جنود على اسطح المنازل .. دوران محموم .. جثة الحركة ملقاة بهدوء  
في الشوارع وامتدادات الازقة .

والصوت يجيء من بعيد جماعيا ذاهبا في الحنطة :

لقد زرعناها على التل الكبير

هنالك ..

تلك البذرة

لقد زرعناها

بين الوديان الوعرة ..

تلك البذرة

بغنائنا

دعونا الارض لكي تستيقظ

ودعونا الحجر ليكون اقل قساوة تحت محاريثنا

لقد زرعناها هناك

على التل الكبير .. تلك البذرة

وما هي ..

ها هي اصبحت شجرة .. واطول منا

تلك هي

ام الزيتون

واضانا الدرب في ذلك الزمان

- ونحن ننهض مبكرين - بقناديل ارواحنا

وما هي الان تضئ قناديلنا

ولكن ما الذي زرعه انت

بساطير ثقيلة

يتنفس الحنون تحتها بالهم

وتفر اليماماتُ مُطْلَقَةً بياض هذوئها غيماً بريق أحمر  
الآن ..

الآن عليك ان تنهض  
فالوقت تآخر  
وجثتك قد نضجت

\*\*\*

شلومو على السرير .. نصل الخنجر تحرك في خاصرته ثانية فتلوى  
المأ .. واستقبل ضوء المصباح بوجهه .  
الشوارع الآن امام عينيه تركض .. وتخلف الطعنة في جسده سكنا  
للالم ..

شباب صغار يعبرون باتجاه مدارسهم .. باتجاه يومهم البسيط ..  
وشلومو يحدق فيهم .. من يستطيع ان يرى السكين في جيب اي منهم ..  
ذلك الذي يضع يديه في داخل جيبيه ماذا يخبئ .. لا .. لن نمنحهم  
فرصة اشهار ايديهم .. «يصرخ» يقفز فزعاً .. يطلق النار .. في كل  
الاتجاهات .. طا .. طا .. طا .. الآن في الموت كلهم عراة  
ونستطيع ان نعرف ما في جيوبهم .. طا .. طا .. طا .. طا ..  
المرضة تدفع باب الغرفة .. تدخل .. هيجان .. شلومو يتراجع ..  
يسقط في الزاوية متهدماً . والمرضة تصرخ ..

\*\*\*

## النوافذ تُروِي الحكايات

البحري يغني :

لم يغم طائري  
في سرير النعاس  
ولم ينكسر  
منذ عشرين عاماً والى قمر  
ايقظ الورد في الذكريات البعيدة  
في صدر سيدة ناضجة  
والقى على وجهها خُلمة  
فتورّد سنبله .. سنبله  
لم يغم طائري

\*\*\*

شلومر في الشوارع .

الحجارة تنهال على دوريته .. كلما مرت بموازة ذلك الشارع الضيق

في مخيم الدهيشة . . كان ذلك قبل ان يتحول المخيم الى معتقل كبير .

طلبة المدارس والطلالات يذهبون الان الى مدارس معتقلة . . حيث المعلمون معتقلون . . والامهات يذهبن ليتعن الخضار من بائع الخضروات المعتقل . . والبنائون يمارسون عملهم بشيطة فريدة . . اذ يرفعون البيوت داخل اسوار المعتقل . . لتصبح اعلى من المعتقل نفسه . . ويتركون للنوافذ مساحات واسعة . . ويتسمون .

في حين كان الجنود موثقين على باب المخيم بعبوسهم .

\*\*\*

رجل «البحري» : عجيبة

البحري : ماذا؟

الرجل : هل لاحظت ان شبايك بيوتنا واسعة هنا . . كأنها مُعَدَّة لدخول الشمس بكامل استدارتها . . رغم كل هذه البنادق الجاهزة خلف الاسلاك . . هل لاحظت ان شبايكهم ضيقة للغاية . . كأنها كوى قلاع قديمة طالعة من جثث الذكري .

البحري : لعنا الاكثر اطمئنانا . . رغم كل شيء .

الرجل : هل لاحظت ان مستعمراتهم تقبع خلف سياج محكم . . كأنهم يرفعون السجون حول ارواحهم ؟

البحري : لقد قال لي المحقق يوما عندما سألني عما اكرهه . قلت له يومها : لعل اول ما يحضرني هذا الحائط الشائك الذي يقبع مخيم الدهيشة خلفه . عندها سألني المحقق : هل مررت بواحدة من مستعمراتنا ؟ فقلت له : بأكثر من واحدة .

فقال : الم تلاحظ اننا وضعنا الاسلاك الشائكة ايضا حولها ؟

قلت : نعم

قال : هناك مثل شعبي عندكم يقول : من ساواك بنفسه ما ظلمك ..  
اترى نحن لم نظلمكم!!

\*\*\*

كان شلومو يمر من هناك بدوريته الراجلة .. جنود يأتون هنا للمرة  
الاولى .. فتلتصق اجسادهم ببعضها .. ويملاون جانبي الشارع بنظراتهم  
السريعة وعيون بنادقهم الموقوتة .

لم يعد احد يعلم متى ينطلق الرصاص .

احيانا ينطلق حيث يكون الهدوء ناضجا كتمثال خزفي

لم يعد احد يعلم متى تفجر الذكري السوداء في جمجمة الجندي ..  
او متى سيفقد صوابه!!

دورية راجلة ... رحلة يومية .. محاولة متكررة لتحقيق انصياع  
الاخر .. تنقلب في النهاية فجأة الى انتفاضة ... وقد كانت جمعت  
بداياتها بهدوء امام اعين الجنود ، وخبأتها لايامها البيضاء .

\*\*\*

مخيم الدهيشة : بحرُ اليف يتكون من نعناع السطوح .. جبال  
الغسيل ، مهرجان الوان توحدت مع قوس قزح فاخفى الفرق بينهما ...  
نوافذ تروي حكايات دائمة ... واحاديث اليفة بين الظل وامتداده في الضوء  
وحلوله فيه ، هدهدة طائرة لام تدعو طفلها لتأمل المشهد .

بحرُ اليف من ملامح طيبة .. وخمس كتل خضراء داكنة يزيدنها  
انعكاس سواد البنادق الملقاة على اكتافها سودا .. ها هم الجنود .

فجأة تتساقط الحجارة متفرقة وتبعثرهم

ولكن كان ذلك قبل اعتقال مخيم الدهيشة

فيما بعد .. اصبحت قنبلة المولوتوف التي تنطلق على طريقة قذائف  
الهاون اكثر ملائمة للوضع .

شلومو واربعة جنود يندفعون في الازقة وقرقة اسلحتهم تختلط بفوضى  
غريبة مع اصوات خطواتهم المبعثرة ...

ويعودون ثانية ... ليجدوا ذلك الطفل البحري الصغير حيث كانوا ..  
يمشي على رصيف الشارع . كان صغيرا جدا ... اصغر من تلك الحجارة  
التي اعتاد طلبة المدارس اطلاقها ... حجارة موجهة مثل الطائرات  
الموجهة .

وقبل ان يراه الجنود يهتف مبتسما ... مرحبا يا خواجا .. فتخرج  
هكذا : مَرَحَ بالآآ ، ياآآآ ، خاواآ جاآآ

ويحاذي الجنود ويسير...وهم يطردون اية فكرة حول امكانية قيام هذا  
الصغير بالقاء الحجارة .

في هذا الوهم تماما تَمْتَرَسَ نصل الخنجر وانطلق من على منصة الوهم  
تلك ، الى خصر شلومو .

شلومو بدأ يعرف ضحيته ... ولكنه تعلم جيدا كيف يسد الطريق على  
انتفاضة روحها الاخيرة التي تطوح بظله بعيدا عنه .

\*\*\*

شلومو قال لراكب الحافلة على الجسر مرة ...

الم اقتلك في مظاهرة قبل عامين في مخيم الدهيشة

البحري : اظن ذلك ... ولكنه لم يحدث في الدهيشة .. كان قبل  
ذلك بكثير!

شلومو : اين ؟

البحري : في كفر قاسم

شلومو : ولكنني لم اكن هناك

البحري : عجيب ! ! يخلق من الشبه مليونين !

## لأيا خواجا أنا من دير ياسين ١١

شلومو يحدق في الصغير :

الم اقتلك ذات يوم في مخيم بلاطة

الطفل البحري يضحك : لا يا خواجا .. لا .. أنا من دير ياسين .

خرجت الكلمات ناعمة جدا .. ببراءة جرحت شلومو فهتف : مثل هذا الصوت يجب ان يكون لاطفالنا فقط .

وجاء صوت والده ، قال له : يا شلومو ... لقد اخطأنا خطانا الكبير عام

١٩٤٨

سأل شلومو : كيف؟

الاب : كان يجب ان نقتلهم كلهم في تلك السنة .. تماما كما فعلنا في دير ياسين .

شلومو : الآن يفكر بالطريقة التي تسوقه بعيدا عن ذلك الخطأ ..

يتلمس المدفع الرشاش في يده ... يتأمل الصغير ... يلقي نظرة حوله مرة ثانية ... ثم يصرخ مشهرا سلاحه في استدارة نصف كاملة ... «محاولة



وغاب صوت شلومو واختفت اجساد الجنود وينادقهم في بحر الناس المتدافعين .

\*\*\*

قال الحاكم العسكري - مسؤول المخابرات - لشلومو ... ادخلوها مع ابنها فدخلت : كان الصغير قد اصبح اقل حجما بكثير واكثر براءة ... وبدا في ثيابه التي حشرته امه داخلها ... والتي اصبحت ضيقة منذ مدة طويلة بدا اكثر طفولة من مولود عار مقلوب يتلقى الصفعة الشهيرة على قفاه .

الحاكم : لماذا لم تحضري ابنك ؟؟

الام : لقد احضرته

الحاكم : واين هو ؟

الام : انه هذا .

في حين حرك الصغير رأسه الى الاسفل والاعلى اربع مرات واغمض عينيه متصنعا البراءة الكاملة .

الحاكم : هل هذا هو ابنك ؟

الام : نعم ... وليس لدي غيره .

صرخ بأعلى صوته .. اطل شلومو فسأله : هل هو نفس الولد الذي تتحدثون عنه ؟؟

شلومو : نعم

صرخ الحاكم العسكري ثانية : «مهزلة»

واكمل «انصرفوا»

لنفسه : اي حصاد من الخيبة هذا الذي نجنيه ... اين يمكن ان ارسل شلومو الان ؟ اي جنود هؤلاء الذين احارب بهم اناس عزلاً ويعودون لي بالهزيمة .

غادر الجميع مكتبه. وعاد صوته « مهزلة ... مهزلة ... »  
في حين نظر الصغير خارج المكتب الى شلومو من طرف عينيه ...  
واخرج لسانه وابتسم .

## الصُّعُودُ إِلَى الْجَلِيلِ

اضواء متناثرة ... ظلال جبال عالية ... كل ذلك يوحى بشمس تملأ  
العالم حنطة ... صوت المغني يجيء من أعماق الروح رخيما ... يقطع  
المسافات بين المدن ملعلما كل الطيبة التي يمر بها ... جامعا الاشجار  
والطيور والعشب النابت بين شقوق الصخر ، وزعتر التلال ... يمر الصوت  
عبر رام الله ... القدس ... نابلس ، جباليا ، طولكرم ، جنين ويصعد  
للناصرية ... عكا ... قمم الجليل ... وخضرة الكرمل المائلة الى ازرقاق  
الموج . ويعبر الصوت طيبا . كلما مر بشجرة سارت خلفه ، وكلما مر بمهر  
سهل ومضى معه ...

والبحري يدعو الصباح بكل دمه ، ينتشر الصوت اكثر ويتسع ، وترتفع  
وتيرة الاغنية شيئا فشيئا مع بدء حركة الناس التي تدب في الشوارع  
وتنسب بعذوبة جداول جبلية .

البحري «يغني»

هي يا صُبُخ

هذا الجليل بطلعته

انهاز سكر تذبذب

بالليل والعسكر

وسكين الملح

هي يا صبح ..

هم اجوا من موتهم لموتهم

واحنا نهز جراحنا

ينور على القلة البلخ

هي يا صبح

---

يا خطوة الطفل اللي طالع من بيوت الطين

يرسم ارض لبنان ع كفه

ويحفظ فلسطين

زي النشيد ووجه جده والحنين

هي يا صبح

ارض الجليل بتطلع من الموت تتحدى

وبتطلع من الليل تتحدى

وتطلع من جروح الشهيد

اللي على تلال البلد

تسهز وتتهدي

هذا الندى دمع السماء

والا مطرنا آلي انهمر

لما شبل

عبا جنابه بالبارود وفجر الموت ... وانفجر

هي يا صبح

\*\*\*

شمس كاملة ... مذهبة

وذات اجنحة من العشب والالفة . . رياحين في الشرفات ، نساء يغزلن  
الحكايات واحلام الليلة الماضية ، فلاحون يرتدون الاشجار كاشعة تهبط من  
بين غيمتين ، جبال لا تكلّ الصعود ، وحقول كلما نظرت اليها ازدادت  
اتساعا .

ها هو الجليل

كاملا مثل روح تتلمس جسدها .



## الانذفاع باتجاه الأغنيّة

المشهد ... قرية كفر كنا ... مساء ... العمال يعودون ... والفلاحون  
يجمعون خطاهم وخضرة الحقول بادية عليهم ... الذين سبقوهم يجلسون  
امام المحلات التجارية الصغيرة على طرفي الشارع المؤدي الى قرية  
الرينة ثم الى الناصرة .

شيخ : طَمَنِّي يا ابا محمد ... كيف الزرع ؟

ابو محمد : هذا العام عام خير .

الشيخ : انت تعرف يجب ان يحسب الانسان لكل شيء ..

ابو محمد : لا تخف هذه ارضي وانا اعرفها ... هل ستأتي لحفلة  
اليوم ؟

الشيخ : سأتي ... سأتي بالطبع .

\*\*\*

الشمس تميل مخلّفة وقع وهجها الذي انتشر طوال اليوم ... نيسان

كامل هذه السنة ... ويفيض عن ايامه ... فيتشابك زهره مع الايام . من رام  
الله جاءت الفرقة لتغني .

الناس يتجمعون امام بوابة المدرسة الخارجية .. تسود هممة بينهم .  
شيخ ما الذي يحدث ؟

صوت شلومر : بأمر من القائد العسكري لمنطقة الشمال ...

الشيخ : اسمعوا يا جماعة ... اسمعوا ما الذي جاء لنا به هذه المرة .

\*\*\*

فرقة فنية ومرشد يطوفون في ارجاء «كُفر كنّا»

المرشد : من شباب حركة يوم الارض : بقي لنا نصف ساعة .. سنعود  
بعدها الى ساحة المدرسة ... كل شيء سيكون جاهزاً ... اعددتنا مسرّحا  
بسيطا ... تحتاجون نصف ساعة اخرى لتجهيز انفسكم .

الاغنيات جاهزة من الممكن ان نبدأ فوراً ، هكذا قال احد اعضاء  
الفرقة .

المرشد : وهناك خبر مفرح ... اذ تنتهي اليوم الاقامة الجبرية  
المفروضة على فنّاننا الشعبي «البحري» وسيغني بعد صمت دام ستة  
اشهر .

\*\*\*

الناس تتدافع باتجاه الاغنية ... تنبع من الحارات وشرفات المنازل ...  
وغبار الحقول العالق بثياب المزارعين ... بعضهم توجه الى الاغنية قبل ان  
يتوجه الى بيته ...

القرية الان امام المدرسة .

ام محمد : ما هذه الفوضى ؟

شاب : هناك جندي يا ام محمد .

ام محمد : هناك حصار اذن .

شلومو بين الناس يقرأ بصوت مرتفع وحوله عدد من الجنود : بأمر من قائد قوات الشمال يمنع اقامة الامسية في ساحة المدرسة باعتبارها ملكا عاما لا يسمح باستغلاله لاقامة حفلات فنية او سواها .

استياء يحتل وجوه الناس .

شلومو : وهناك امر آخر ..

الناس يصمتون .

كما قرر القائد العسكري لمنطقة الشمال عدم السماح للمغني «البحري» بالغناء لمدة شهرا اعتباراً من صباح هذا اليوم السبت .

الهمهمة تتعالى ... استياء كامل .

\*\*\*

بعض الشباب يشقون طريقهم عبر الجمع ... يتبادلون كلمات قليلة ، ثم ينتشرون في انحاء القرية .

احدهم : يجب ان يتم ذلك بسرعة .

الآخرون : ولا يهكم .

\*\*\*

المرشد والفرقة الفنية امام نصب كبير ... الغروب الآن يكتمل فيملاً الافق دم ارجواني .

المرشد : نحن الآن امام نصب لشهداء صبرا وشاتيلا ... «المرشد يواصل» ولهذا النصب قصة .

\*\*\*

في مقر قيادة قوات الشمال القائد يخاطب «البحري» : انني احذركم ... اذا ما حاولتم بناء النصب فاننا سنقوم بنسف مئة وخمسين منزلاً من منازل القرية .

هذا قراري ... ويجب ان تفهموا معناه جيدا .

\*\*\*

شباب حركة يوم الارض مع بعض رجال القرية وفتياتها ... بينهم  
البحري وام محمد تلك التي تطالعك دائما كراية فلسطينية لا تقبل الانحناء .  
البحري : هذا قرارهم .

ام محمد : ونحن لا نستطيع ان نقوم ببناء نصب للشهداء ودوريات  
الجنود تملأ القرية .  
البحري : والحل ؟

احد الشباب : يوم الغفران!!!  
حطت ابتسامة واثقة على وجوه الموجودين وسرت في بقية اجسادهم  
كرفيف اجنحة عصفور .

## الفرصة مهيأة لنمو الأزهار

اليوم ... يوم الغفران ... الجنود غائبون والفرصة مهيأة لنمو الأزهار  
والنعناع ، والريحان المتماوج فوق السطوح . لا جنود ... ولا اسلحة ... كل  
شيء مطمئن وبسيط ... وخارج مدى الرصاص .

\*\*\*

مجموعة الشباب التي غادرت الجمع تلتقي في ساحة معمل للطوب ،  
اسلاك كهربائية ... لمبات ... وسيارة تتوقف محملة بالخشاب .

هنا سيكون الغناء... يندفعون... يبعدون الطوب المرصوص... والاجزاء  
المحطمة منه جانبا ... ويبدأ العمل.

ترتفع جدران صغيرة ... لا تلبث ان تلتقي مُشكَّلةً مستطيلاً ..  
الخشاب تغطيه ... يندفع احدهم : لقد نسينا الدرجات ...

الدرجات الآن تصعد الى المنصة .. سيارة تحضر بداخلها كراس .  
يبتسم الشباب .

احدهم : لقد تم كل شيء بأسرع مما تصورنا .

آخر : ليذهب احدكم وليخبر الناس ان الامسية ستكون في معمل الطوب!

\*\*\*

نصب الشهداء يرتفع بين ايدي الشباب ... يرتفع وباتقان ... كان الوقت كله لهم ... يرتفع والشمس تشق طريقها اليومي تشرق الآن .  
البحري : لقد تم كل شيء ... فليهدموا غدا ١٥٠ منزلا .. ليفعلوها ... او فليهدموا النصب .

ام محمد «التي كانت طوال الوقت تستحثهم وتحضر الماء اللازم للبناء على راسها» : قبل ان يفعلوها عليهم ان يتذكروا ايام الارض .  
البحري : لا اظنهم يستطيعون عمل شيء الان .

\*\*\*

أحد الشباب قادم من بعيد ، الانظار تتجه اليه ... «يصل» : بعد انتهاء الجولة اذهبوا الى ساحة معمل الطوب الامسية ستكون هناك .  
ينحدر عائداً للجهة التي بزغ منها .  
المرشد : لا بد ان شيئا قد حدث ... ولكن لا عليكم .

\*\*\*

القرية تتوافد على معمل الطوب . المجاورون للمعمل حملوا كراسيهم من بيوتهم معهم .  
الفرقة تستعد .

\*\*\*

امام النصب .  
أحد الشباب : لقد جاء النصب اجمل بكثير مما رسمناه على الورق .  
ام محمد : يعطيكم العافية .

\*\*\*

الجمهور يصفق .

الفرقة تبدأ الغناء .

عَلَّمُونَا كَيْفَ نَصْنَعُ  
مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ شِعْلَةً  
عَلَّمُونَا كَيْفَ نَجْنِي  
مِنْ جِرَاحِ الْقَلْبِ قُلَّةً  
عَلَّمُونَا كَيْفَ يَغْدُو  
قَلْبُنَا لِلْأَرْضِ أَزْهَاراً  
وَفَوْقَ الْجَرْحِ قُبْلَةً  
عَلَّمُونَا كَيْفَ نَصْنَعُ  
مِنْ دُمُوعِ الْيَاسِ زَيْتاً لِلْمَشَاعِلِ  
كَيْفَ نَجْعَلُ  
نَبْضَةَ الْقَلْبِ قَنَابِلَ  
عَلَّمُونَا كَيْفَ نَأْكُلُ  
خَبِزَنَا بِالدَّمِ مَغْمُوساً لِنَحْيَا  
لَا لِنَحْيَا  
بَلْ لِكَيْ نَبْقَى نُقَاتِلُ



## البحري على شاطئ عكا

«البحري» على شاطئ البحر ... هنا تلتقي مدن الساحل .. هنا  
تسكن ... هنا ترتفع في موجة طيبة وتقبل رمل عكا ..  
صوت الموج موسيقى الزرقعة العميقة ... والبحري المقيد بالأوامر  
العسكرية ... طليق في رنة العود والاغنية .

عكا فرس من موج عاشط البحر  
موال ازيق ميجانا  
آتغنيه يخضر الشجر  
عكا رُمح للبر بيرد الخطر  
عن ورده عن شبك ... عن ذكرى وصوز  
عكا فرس  
عكا اسم للطير والافراخ  
وعيون الصقر  
وامواخ بريّة ومطر  
عكا اغاني .. ودالية تطرح عنب

تطرح شعز  
ونسور بترفراف على مد البصر  
عكا فرس  
بقول يا عكا  
وبفرش ها الغمز  
عا عتاب شطك ميجنا  
إنت أنا  
وانت مراية لما نوقف صوبها  
بنشوف لون العز ريحة هالزهر  
وبنشوف صوت الناي وماخبا الصدر  
ونقرا سوى سيرة وطن  
سيرة شعب  
سيرة حصار وعسكر  
ابنقرا سطر يتلو سطر  
كيف اللي عمره ما انكسر  
بوابك الخضره انكسر  
كيف اللي حاصر او دخل  
لبيوتك البيضة رحل  
وانت بقيتي زي ها الموج ومثل نور الفجر  
عكا كانك للعدى من قبل ما يكون المدى كنت قدز  
ومن يومها صرتي كلام الناس  
وكتاب البشر

## عِناقُ الموجة

البحري في بيته يغني ... السجن ... الاسلاك الشائكة ، ورام الله  
تتفتح كزهرة جبلية وسط ضباب الصباح .

والبحري يغني : ومن يومها صرتي كلام الناس وكتاب البشر ..

فتضرب موجة جدران البيت ، يعبر صوتها ... يمتلئ صدره بنشوة  
غامرة وشوق للاندفاع نحوها . يشرع الباب ... تتجلى الموجة !!

عالية كنت هناك على الشاطئ  
والبحرُ سريرٌ من اجنحةٍ لا تهدأ

عالية كنت ...

دمي ملتهبٌ

اضلاعي تتقاذفُ

صوتي مرتعشٌ

وجيادي في الداخل تصهلُ

عالية كنت

نداءً سرياً ينسابُ الى روحي

اتبعه ماخوذاً بالازرق  
ماخوذاً بهضاب الماء  
كان الناس خطى تتقاطع فوق الرمل بلا اسماء  
والاصداق رثاء الريح  
وريش طيور خرساء  
عالية كنت  
كان جهات الارض اجتمعت فيك  
كانك رحي تتجلى  
وذهولي الطفل  
كانك ما بعد البر  
وبعد البحر  
وبعد الغامض في الاشياء  
وكان الناس خطى تتقاطع  
فوق الرمل بلا اسماء  
عالية كنت  
دخلنا الالفه في لحظات  
حين مدت يدا نحوي  
فانبسط الازرق شوقا  
وانقذت في القلب مجاعة قلبي  
للأعراس المهجورة  
للحنطة ... لوجوه الشهداء  
ناديتك : يا امي ... ناديت  
اندفعت كل طباء العالم ظمأ في  
عدوت اليك  
عدوت  
عدوت  
عدوت كسهم من اشلاء!!

في هذه اللحظة ينطلق البحري باتجاه الموجة التي تجيء عالية ...  
لتجتاح السجن .. لتصبح اكثر رقة كلما اقترب منها ... يندفع يركض ...  
وفجأة ينتصب شلومو مشهرا سلاحه حائلا بين وصول البحري للموجة .

رصاص باتجاه البحري ... بحريون كثيرون يخرجون من مخيم  
جباليا ... تتقد في شلومو شهوة الدم ... الآن يستطيع ان يحصلهم  
كلهم ..

وفجأة ييزغ بحريون في مظاهرة من خلفه ... من مخيم بلاطة ...  
وثالثة من ام الفحم ... ورابعة من الناصرة ...  
شلومو يرتبك ... فجأة يلقي سلاحه ويبدأ بالبكاء ..  
البحريون يتقدمون من كل الجهات .



تل اييب ... مظاهرة كبرى .. ترفع شعاراً .. السلام الان ! والد شلومو  
في مقدمة المظاهرة !!! .



## مدى المقلاع

الحاكم العسكري يحل طوق الكلب «رامبو» الذي يندفع هائجاً في حركة  
مجنونة يزيد من وضوحها وقوع المشهد في اطار من التصوير البطيء ...  
عضلات الكلب ترتج ... زبد يتطاير من بين انيابه ... مخالب يتناثر تحتها  
رصيف الشارع ... الكلب يجتاح مدنا ويبدو للحظة وكأنه اصبح معلقا ...  
في حين تتوالى مشاهد مختلفة من المدن ... والناس «هنا يختفي صوت  
مخالب الكلب»

● امرأة تنشر غسيلها .. طفلة ترتب كتبها المدرسية .. وتنشد بمرح :

«انا الارض التي تزهـر

انا غـزة

انا الزعتر ..»

يختفي الصوت ... ليعود الايقاع المعدني لاصطكاك مخالب الكلب  
ولهااته المحموم لاحتلال الخلفية ..

● فلاحه تـبذر العلف لدجاجة تتبعها صيـانها .

● بائع متجول يتناول صغيراً قطعة من الحلوى ... الصغير يبدأ بالتهاهما فوراً .

● فتى وفتاة يعبران احد الشوارع الخالية ... تميل عليه بسرعة خاطفة وتقبله ... يتورد وجهه ... وتضحك هي ...

● مولود صغير في يد «القابلة» «ام محمد» يبكي ... وجه القابلة ينفرج عن ابتسامة طيبة .. ملامح الام تستعيد براءتها ... في حين يندفع عشرة اطفال نحو الغرفة هم ابناؤها «يختفي هنا صوت مخاليل الكلب ولهائه» ويأتي صوت القابلة واثقا : اجتكم مهرة!  
الصغار يبتهجون ...

يعود صوت الكلب لاحتلال الخلفية الصوتية ... وهنا يظهر للحظة وقد تعثر بشيء واوشك على السقوط : .. الا انه يعاود اندفاعه .

● فلاحه في عليا بيتها القروي تخطط ثوبا ... تتوقف .. تنظر الى حمامة بيضاء فوق حافة السطح العشبي ... تعود لتفرس الابرّة في حلقة القماش ، فنرى حمامة خضراء .

كل ما في المشهد يوحي انها تنقل الحمامة من فوق السطح الى الثوب .

● يعود الكلب لاحتلال المشهد ... ويتعالى لهائه اكثر فاكثر ... يقترب في مشهد يكبر تدريجياً حتى يكاد يخرج من اطار شاشة سينمائية .

● جنرال يعبر الشارع بجنوده ...

● طفل صغير فوق احدى السطوح ... يبول بمرح ..

● الكلب يشق الشاشة ليخرج باتجاه خليط المشاهد الطيبة السابقة ... نباح مجنون ... يبدأ بالتهايم الناس .

● حصان يصل ... ينفذ غرته ... ابيض ... يبدأ انطلاقه .. تتقاطع صورة الكلب رامبو والحصان .. ليسفر المشهد عن بقاء الحصان وحده .

- جندي يسقط بطعنة خاطفة .
- سيارة عسكرية تحترق ...
- حجارة تتساقط على دورية .
- جنود يملأون الشوارع .. هروات .. بنادق رشاشة .
- صوت الاذاعة الاسرائيلية يعتبر المخيم والقرية والمدينة السالفة الذكر مناطق عسكرية مغلقة ويمنع التجول حتى اشعار آخر .
- الكلب رامبو يظهر ثانية .

\*\*\*

مشاهد متتابعة داخل بيوت كثيرة ... صوت المذياع يطلق خبر منع التجول ... تدب الحركة بين اضلاع البيوت وكان الناس يسمعون الخبر من مذياع واحد .

● المذياع ... وكل من يفادر بيته سوف يتعرض الى اقصى الاجراءات .

● في داخل البيوت ... كل واحد يعتقد انه اذا خرج سيكون الوحيد في الشارع ... لذا نرى حركة مضطربة لاناس اشبه ما يكونون بطيور تضرب الاقفاص باجنحتها حيث يطفو على حركات الناس حس عميق بضرورة التحليق ... يأتي صوت صهيل من الخارج ... صوت موج غاضب فيكون بمثابة دعوة للخروج ويمر حصان جامح عبر الشوارع المليئة بالجنود كطيف ...

● ابواب تنشق ... نوافذ ... رؤوس تطل من شارع طويل ... نلمح ام محمد ، البحري ، ام البحري الصغير ، البحري الصغير ، المرشد .. وجوه تتوالى .

فجأة الناس الان وجها لوجه ... والشارع مزيج من شوارع كثيرة للمدن المحتلة

● الناس يندفعون الى خارج البيوت ، السطوح ... في حركة واحدة  
مشاهد من الناصرة ... عكا ... الجليل ... القدس ... نابلس ، بلاطة ،  
الخليل ... الجلزون ، تتقاطع المشاهد لتمنح الهتاف المنطلق من الجميع  
جلالاً مقدساً .

- جنود يندفعون في سياراتهم العسكرية والمدنية .. مشاهد ملتعبة .
- مواجهات دامية في بلاطة .. شهداء .. جرحى .. رصاص ...
- تراجع .. يطلق النار الى صدور المتظاهرين مباشرة..
- قناص يفجر رأس شاب يحمل العلم الفلسطيني .. والمظاهرة تتقدم .
- قنابل جارقة على القنصلية الامريكية في القدس .
- اقتحام مستشفى ... اعتقالات ... شاب فلسطيني قذف قنبلة مسيلة  
للدموغ باتجاه الاسرائيليين .
- اعلام فلسطينية فوق اعمدة الهاتف والكهرباء .
- دورات متتالية لليل والنهار ... والارض تلتهب .
- اندفاع جديد للقوات الصهيونية .
- طائرات مروحية تلقي قنابل مسيلة للدموغ ... وتطلق النار باتجاه  
المتظاهرين .
- احد المتظاهرين يصوب مقلاعه باتجاه الطائرة .

## هُنَاكَ قَتْلَى فَالْجُنُودُ يَعْمَلُونَ بِإِخْلَاصٍ

مبنى واسع يتوافد عليه مسؤولون اسرائيليون .. حراسات .. في الداخل  
قاعة واسعة ... وطاولة مستديرة ... عبوس كامل .. شامير .. شارون ...  
بيريئز ... الحاكم العسكري للضفة الغربية ، صحفيون ... اعضاء  
كنيست ... شلومو ، رامبو ، ايتان .. رئيس اركان الجيش .. الوجوه واجمة  
في بحر من الصخب .. «صمت» .

- اظن ان علينا اصدار امر لجنودنا بقتل اي عربي يعثر بحوزته على  
سكين .

- ان قتل ٥٠ عربياً دفعة واحدة يحفظ الهدوء ثلاثين عاماً!!

\*\*\*

جنود صهاينة ... مظاهرات .. شباب فلسطيني يكشف عن صدره امام  
جندي .. يصرخ بالجندي : هيا اطلق النار .  
طلقات متتابعة تشق صدر الشاب ...  
آخرون يشرعون صدورهم .

\*\*\*

#### القاعة

- العرب يخطئون احيانا في تفسير «الديموقراطية الاسرائيلية» .  
- علينا ان نعترف ان الجهات السياسية زرعت الريح في الاراضي  
المحتلة وان القوات العسكرية هي التي تجني الان العاصفة .

\*\*\*

قيادة عسكرية ... ضباط اسرائيليون كبار... محاكمة لاحد الضباط ..  
القائد العسكري : لقد قررت قيادة المنطقة الوسطى تجميد الضابط  
دان عميرام بسبب عدم تشديده على اوامر اطلاق النار في مواجهة  
المظاهرات .

\*\*\*

طلعات متتالية لطائرات مروحية فوق المدن المحتلة ... على الارض :  
الفلسطينيون اطفالا ونساء ... شبابا يدلقون المياه على القنابل المسيلة  
للدموع .

\*\*\*

جنود اسرائيليون يستخدمون المعتقلين الفلسطينيين كحواجز مضادة  
للحجارة لحماية انفسهم وسياراتهم في حين يصوب الجنود مدافعهم  
الرشاشة ويطلقون الرصاص ...

\*\*\*

### القاعة

- ان الحقيقة التي تظهرها استطلاعات الرأي العام تبين اننا نعمل كلنا  
في موقع واحد : ان الحمائم والصقور يؤيدون ترحيل العرب ، كما ان  
الحمائم والصقور يرفضون اعطاء الفلسطينيين حقوقا كاملة في داخل  
الدولة

- ان صورة اسرائيل اصبحت سوداء الآن في اعين العالم .

- علينا ان نسحب قواتنا من المدن والتجمعات السكانية .

- اعتقد ان المطلوب تعزيز هذه القوات .

- ان المسألة تعدت مناطق القدس ونابلس ورام الله. اننا في ذهول تام  
الآن ونحن نرى يافا والناصرة وحيفا والخليل يعلنون العصيان ايضا ..

- ايها السادة ان ما سأقوله مختلف قليلا ... لذا دعوني اتساءل ما  
الذي يحدث الآن ؟ ان ما نتجاوزة يعود ويتجاوزنا من جديد ... نحن طوال  
اربعين عاما لم نستطع ان نطوي صفحة واحدة .. فمذبحة دير ياسين تعود  
ثانية .. تقفز فاذا بها امامنا ... ومعارك ١٩٤٨ تعود ونخوضها من جديد ،  
كفر قاسم ١٩٥٦ ، صبرا وشاتيلا .. بيروت ، اكاد اجن ايها السادة ...  
نحن لا نستطيع تصفية حسابنا مع الماضي ... كأن كل معاركنا التي  
خضناها وهم ليس الا

- ها نحن نسلح الجنود وندفع بهم مدججين بكل انواع الاسلحة ...  
ونرى الذعر يسيطر عليهم .

- ايها السادة نحن نفقد السيطرة على مناطق في قبضتنا . وما داموا  
يتحدون سلطتنا فان المذابح ستستمر ...

هنا تبدأ الملامح بالتداخل ... تختفي لنرى كل من في القاعة لهم  
ملامح واحدة : شارون .

شارون ١ : يجب التصريح لقوات الامن باطلاق الرصاص الحقيقي ...  
شارون ٢ : كما يجب اعطاء الضوء الاخضر للجنرالات الذين يتولون  
قيادة المناطق لاعتقال وابعاد العناصر المتمردة .

شارون ٣ : ايها السادة ان مثل هذه الاجراءات تنبع من حقيقة  
ديموقراطية ... ان غالبية الشعب لدينا تطالبنا باتخاذ اجراءات اكثر شدة .

شارون ٤ : الان علينا ان ندرك ان من يقول ان البيض يضطهدون  
السود في جنوب افريقيا هو كاذب . نحن ايضاً اقلية بيضاء هنا .

شارون ٥ : الحل يكمن في اعتقادي بارسال ناقلات مليئة بالجنود ....  
لقد سبق «لديان» ان ارسل الدبابات الى نابلس .

شارون ٦ : ان العرب صراصير في زجاجة ليس الا ...

شارون ٧ : ان عدد القتلى المتزايد خصوصاً بين النساء والاطفال  
يمنحني طمأنينة خاصة جوهرها ان جنودنا يعملون هناك بكامل اخلاصهم .

شارون ٨ : اعتقد انه لا يوجد الرصاص الكافي في يد الجنود!!

شارون ٩ : ان استخدام الاعيرة النارية الحية .. لم يعد يجدي  
كثيراً ... بل استطيع القول ان ذلك افقد جنودنا وسيلة الرعب ... فبماذا  
يمكن ان نخيف المتظاهرين الآن ؟

\*\*\*

معارك شرسة في كل انحاء الوطن المحتل .  
مشهد شاب يشرع صدره ويدعو الجندي لاطلاق النار ...  
اعادة المشهد ..

\*\*\*

القاعة من جديد ، شارون ا يقف :  
لقد تدارسنا الموقف جيداً ... ورأينا ان الحل الوحيد يكمن في اعادة  
احتلال المدن المحتلة !!  
«تصفيق» يختلط تدريجيا مع اصوات جنازير الدبابات واصوات  
الطائرات المروحية والمقاتلة والانفجارات .  
«ايلول - تشرين الثاني ١٩٨٧»



## الفهرس

|    |                                        |
|----|----------------------------------------|
| ٥  | سحابة الظل المجففة .....               |
| ٩  | الازهار بعد خمس حروب .....             |
| ١٥ | الم اقتلك منذ عامين .....              |
| ١٧ | هناك رضيع.. هناك استنفار.....          |
| ٢١ | عاصفة الحمام .....                     |
| ٢٧ | دولة في حاضنة بلاستيكية .....          |
|    | المذبحة.. تجتاز الماضي                 |
| ٣٣ | وتنتظر شلومو في المنعطف التالي .....   |
| ٣٥ | «رامبو» في صفوف الجيش .....            |
| ٣٩ | لهذا الجندي مهنة واحدة هي القتل.....   |
| ٤٥ | شلومو ورامبو في مهمة مشتركة .....      |
| ٥١ | سمفونية الهدوء يقطعها عواء الذئب ..... |
| ٥٩ | مخيم الجلزون : عصفور يعد بأغنية .....  |
| ٦٥ | البحري الصغير يحفظ نشيد الخيول .....   |

|          |                                 |
|----------|---------------------------------|
| ٦٩.....  | نابلس والوقت شمس                |
| ٧٣.....  | شلومو يشهر سلاحه ورامبو انياه   |
| ٧٩.....  | عصيان نغمي                      |
| ٨٥.....  | شلومو يطلق النار على الوهم      |
| ٨٩.....  | النوافذ تروي الحكايات           |
| ٩٣.....  | لا يا خواجه انا من دير ياسين    |
| ٩٧.....  | الصعود الى الجليل               |
| ١٠١..... | الاندفاع باتجاه الاغنية         |
| ١٠٥..... | الفرصة مهيأة لنمو الازهار       |
| ١٠٩..... | البحري على شاطئ عكا             |
| ١١١..... | عناق الموجة                     |
| ١١٥..... | مدى المقلاع                     |
| ١١٩..... | هناك قتلى فالجنود يعملون بإخلاص |
| ١٢٥..... | الفهرس                          |

## إبراهيم نصر الله

- من مواليد عمّان عام 1954 من أبوين فلسطينيين أقبلعا من أرضهما عام 1948 ، درس في مدارس وكالة الغوث ( مخيم الوحدات ) ، وأكمل دراسته في معهد المعلمين التابع للوكالة .
- عمل مدرّسا لمدة عامين في المملكة العربية السعودية 76-78 .
- عمل في الصحافة الأردنية من عام 78-96 .
- يعمل الآن مسؤولا عن النشاطات الثقافية - دارة الفنون - مؤسسة عبد الحميد شومان ومستشارا ثقافيا للمؤسسة .
- صدر له
- شعراً : ( الطبقات الأولى )
- الخيول على مشارف المدينة - دار الشروق - عمان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت • المطر في الداخل - الشروق ، المؤسسة العربية • الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق - الشروق • نعمان يستد لونه - المؤسسة العربية • الفتي النهر والجرال - الشروق • عواصف القلب - الشروق • حطب أخضر - الشروق • فضيحة الثعلب - الشروق • الأعمال الشعرية - مجلد ، المؤسسة العربية • شرفات الحريف - المؤسسة العربية • كتاب الموت والموتى - المؤسسة العربية .
- رواية : ( الطبقات الأولى )
- براري الحمى - الشروق ، مؤسسة الأبحاث العربية 85 . غو - الشروق 90 . كتاب : الأمواج البرية - القنس 88 . مجرد 2 فقط - الشروق 92 . طيور الحذر - دار الآداب 96 . حارس المدينة الضائعة - المؤسسة العربية 98 .
- كتب للأطفال : صباح الخير يا أطفال . أشياء طيبة نسميها الوطن .
- شارك في المعرض التشكيلي ( كتاب يرسمون ) وأقام معرضا فوتوغرافيا في دارة الفنون - مؤسسة شومان عام 1995 بعنوان ( مشاهد من سيرة عين )
- ترجمت براري الحمى إلى الإنجليزية ، والحوار الأخير إلى الألمانية ، ونشرت مختارات من قصائده بالإنجليزية ، الروسية ، البولندية ، التركية ، الفرنسية .
- نال سبع جوائز عن أعماله الشعرية والروائية ، من بينها :  
جائزة غرار الأدبية عن أعماله الشعرية 1991  
جائزة تيسر سبول عن أعماله الروائية 1994  
جائزة سلطان العويس للشعر العربي 1997

(الأمواج البرية) سعي لتقديم شكل فني جديد : سرد روائي ، حوار مسرحي، روح شعرية، ولغة سينمائية منحتة طاقة إنسانية مفعمة بروح متألفة. وبحسب لنصرالله هنا أنه دفع القارئ للمشاركة الممتعة الفاعلة للقيام بدور المخرج السينمائي لهذا العمل.

يغرف الأمواج البرية من تقنيات الفنون، ويجتريء على الأجناس الأدبية متجاوزا الحدود التقليدية للكتابة، ليكون بذلك من النصوص الأدبية التي تنتج أدوات نقدها الجديدة.

والأمواج البرية غني مكانياً، حيث يلعب المكان ( فلسطين المحتلة) بمدنها وقراها وخيماتها دور البطولة المتحققة بالعلاقة بين الإنسان والمكان الذي يعيش عليه ويكافح من أجل إزالة ما لوّثه وشوّهه، ألا وهو الإحتلال.

كتاب يبدأ بالحياة لينتهي فيها، لذا لم يكن غريباً أنه تلمس الإنتفاضة واستشرफها .

من مقدمة طبعة القدس 89